هداية الأنام

إلى مفتاح دار السلام

بتحقيق شهادتي الإسلام

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٦٥)

هداية الأنام

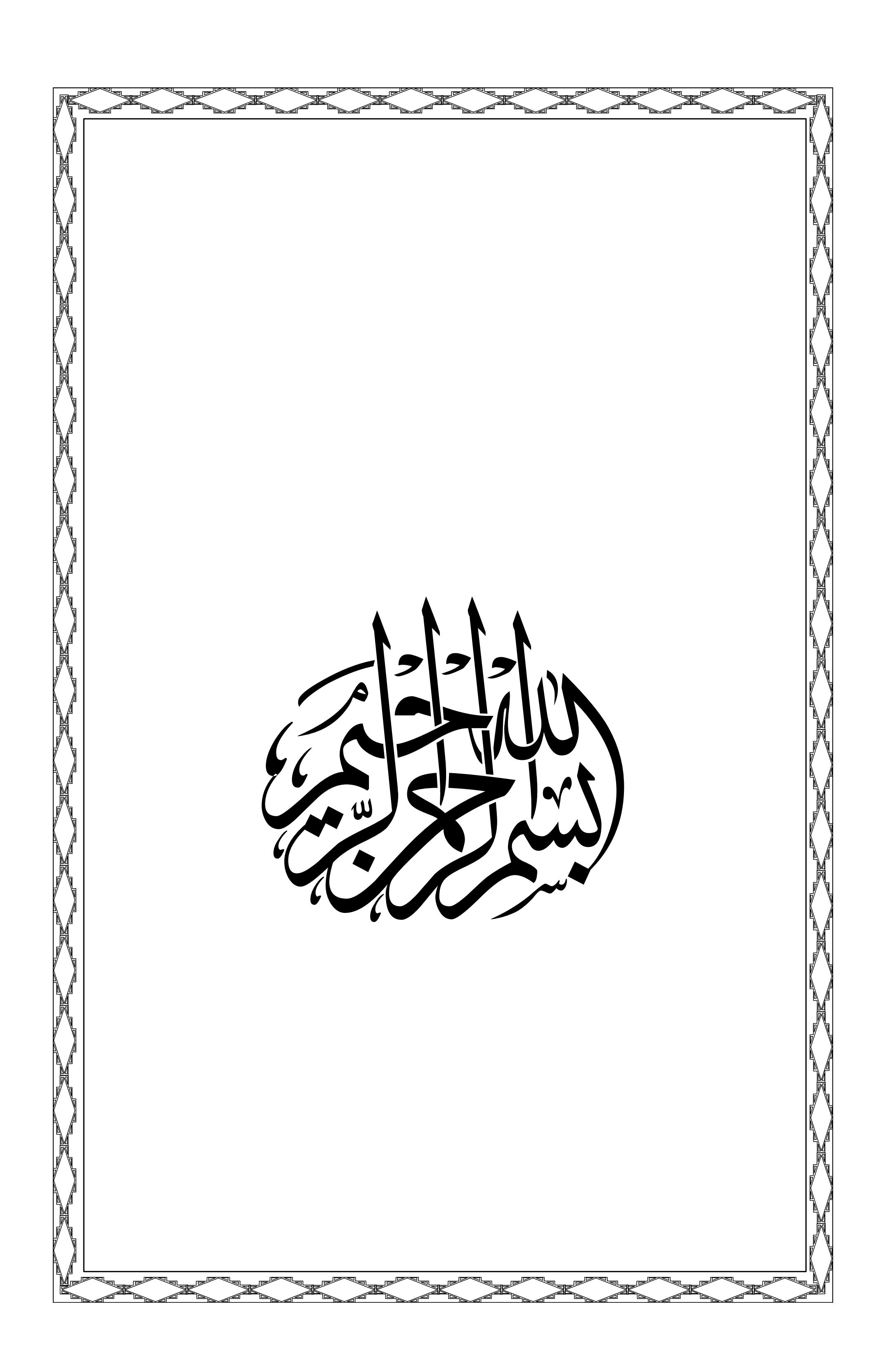
إلى مِفْتَاحِ دَارِ السَّلَامِ بِتَحْقِيقِ شَهَادَتَي الْإِسْلَامِ

للشيخ/ حافظ بن أحمد الحكمي

المتوفى: ١٣٧٧هـ

تأليف

عَبْدالعزيز بنِ عبْدالله الرَّاجحي


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمَةُ الشَّارِح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي، ثم المدني.

أشهد أنه رسول الله إلى الثقلين الجنِّ والإنس والعرب والعجم، وأشهد أنه خاتم النبيين وإمام المرسلين، فلا نبي بعده، وأشهد أنه بلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه مِنْ ربِّهِ اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن مَنْ كان حريصًا على التَّعلُّمِ والتَّفقُّهِ والتَّبصُّرِ في دينه وشريعة ربِّهِ حتى يعبد الله على بصيرة فهو على خير عظيم طالما أن هذه نيته.

وليعلم أن الله أراد به خيرًا؛ وفي «الصحيحين»[(١)] عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﵄ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وكلُّ من

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٣٨).

أراد الله به خيرًا لا بُدَّ أن يُفَقِّهَهُ في الدين، فَمَنْ لم يُفَقِّهْهُ في الدين لم يُرِدِ الله به خيرًا»[(١)].

وهو محسود حسد غِبطة، فيتمنى المسلم أن يكون مثل مَنْ آتاه الله علمًا نافعًا وعملًا صالحًا، كما أن مَنْ آتاه الله المال وكَسَبَهُ مِنْ وجوهه المشروعة وأدَّى فيه الواجبات وأنفقه في المشاريع الخيرية فهو محسود أيضًا حسد غِبطة كما ثبت في «الصحيحين»[(٢)] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»، والحسد المذكور في الحديث هو الغِبطة، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره مَنْ غير أن يزول عنه[(٣)].

والحسد نوعان:

الأول: حسد مذموم يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وهو أن تتمنى أن تزول النعمة عن أخيك المسلم ويكون معدمًا فلذلك أمر الله بالتَّعوُّذ منه قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: ٥].

الثاني: حسد غِبطة، بمعنى: أنك تتمنى أن يكون لك مثل ما لأخيك المسلم مَنْ غير أن تنتقل عنه النعمة، وهذا الذي قال فيه النبي ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**»، فإن هذا هو حسد الغِبطة[(٤)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «الاغتباط في العلم والحكمة»، رقم (٧٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨١٦).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٦٧).

(٤) انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم» (٦/ ٩٧).

وعلى طالب العلم أن يُخْلِصَ نيته لله ﷻ، ويجاهد نفسه على إصلاحها وإخلاصها لله تعالى؛ لأن العلم عبادة، **ولا تصح العبادة** ولا تكون نافعة ولا مقبولة عند الله ﷻ **إلَّا بشرطين**:

الأول: أن تكون خالصةً لله مرادًا بها وجهَهُ والدارَ الآخرة؛ قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، وفي «الصحيحين»[١] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁ قَالَ: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**».

الثاني: أن تكون موافقةً لشرع الله وصوابًا على هدي رسول الله ﷺ؛ ففي «الصحيحين»[٢] عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»، وفي لفظ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٣].

وعليه أن يجتهد ويحرص أن يكون قصده أن يتفقَّه ويتبصَّرَ في دين الله ويرفعَ الجهل عن نفسه وغيرهِ؛ لأن الأصل في الإنسان أنه لا يعلم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، قال مهنا: قلت **لأحمد بن حنبل**: «ما أفضل الأعمال؟»، **قال**: «طلب العلم لمن صحَّت نيته»، قلت: «وأي شيء تصحيح النية؟»، **قال**: «ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب «كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟»، رقم (١)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب «إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود»، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨) من حديث عائشة ﵂.

(٤) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/ ٣٨٠، ٣٨١)، و«الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٦٥)، و«الآداب الشرعية» له (٢/ ٣٨).

ومَنْ تعلَّم العلمَ ليماري به السُّفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أو ليُصِيبَ به عَرَضًا مِنَ الدنيا مِنْ مالٍ أو منصبٍ أو شُهرةٍ استحق العقاب، ففي «صحيح مسلم»[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: «فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟»، قَالَ: «قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ»، قَالَ: «كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ «جَرِيءٌ»، فَقَدْ قِيلَ»، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: «فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟»، قَالَ: «تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ»، قَالَ: «كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ «عَالِمٌ» وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ «هُوَ قَارِئٌ»، فَقَدْ قِيلَ»، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: «فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟»، قَالَ: «مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ»، قَالَ: «كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ «هُوَ جَوَادٌ»، فَقَدْ قِيلَ»، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»، وقوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وادخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحثِّ على وجوب الاخلاص في الأعمال[٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷿ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا[٣] لَمْ يَجِدْ**

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٩٠٥).
(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٣/ ٥٠، ٥١).
(٣) العرض: متاع الدنيا وما فيها. «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٥٤٤).

عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي: رِيحَهَا[(١)]، ومثلهما أحاديث كثيرة.

ومَنْ أحسن فيما أُمِرَ به أعانه الله ويسَّرَ له أسباب الهداية؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العَنكبوت: ٦٩]، فوعد الله تعالى الذين جاهدوا فيه أنه يهديهم إلى سُبُلِ الخير والرَّشاد.

وليحرص الإنسان على طلب العلم وتتبُّعِ الدروس العلمية التي يلقيها أهل العلم والبصيرة، ويختار مَنْ عُرِفَ بسلامة المعتقد، وليقرأ الكُتُبَ النافعة ويسمع الأشرطة المفيدة لأهل العلم والبصيرة؛ ليتبصَّرَ ويتفقَّهُ، وليسأل عمَّا أشكل عليه، وليذاكر مع إخوانه ويستمر حتى يكون من أهل العلم، وليحرص أن يكون إما عالمًا أو مُتعلِّمًا أو مستمعًا للعلم أو مُحبًّا له ولا يكون الخامس فيهلك.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم جميعًا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يُفقِّهَنَا في دينه ويُبصِّرَنا في شريعته، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصِّدق في القول؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

✍ كتبه
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب «في طلب العلم لغير الله تعالى»، رقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه، المقدمة، باب «الانتفاع بالعلم والعمل به»، رقم (٢٥٢)، وأحمد (٢/ ٣٣٨).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، سنده ثقات، رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ١٦٠).

وقال النووي: «رواه أبو داود بإسناد صحيح». «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص ١٩).

التعريف بالرِّسالة

هي رسالة «مِفْتَاحِ دَارِ السَّلَامِ بِتَحْقِيقِ شَهَادَتَي الْإِسْلَامِ»[١] للشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ، وهي في الشهادتين.

والشهادتان ـ «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»، بأن تشهد لله تعالى بالوحدانية وللنبي محمد ﷺ بالرِّسالة ـ هما أصل الدين وأساس المِلَّةِ.

ولا يدخل الإنسان في الإسلام حتى يُحَقِّقَ هاتين الشهادتين، فيشهد «أن لا إله إلَّا الله» بلسانه، ويعتقد معناها بقلبه، ويأتي بشروطها ومقتضياتها وحقوقها بجوارحه وقلبه، ويشهد «أن محمدًا ﷺ رسول الله» بلسانه، مُصدِّقًا بها قلبه، ويأتي بحقوقها ومقتضياتها.

وبهما يخرج المسلم من الدنيا؛ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» دَخَلَ الْجَنَّةَ»**[٢]، وهما متلازمتان لا تصح إحداهما بدون الأخرى، وإذا أطلقت إحداهما دخلت فيها الأخرى.

---

(١) تم إثبات نسخة المتن من الطبعة التي خرجت بتحقيق **الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر**، الناشر «دار الفتح، الشارقة»، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

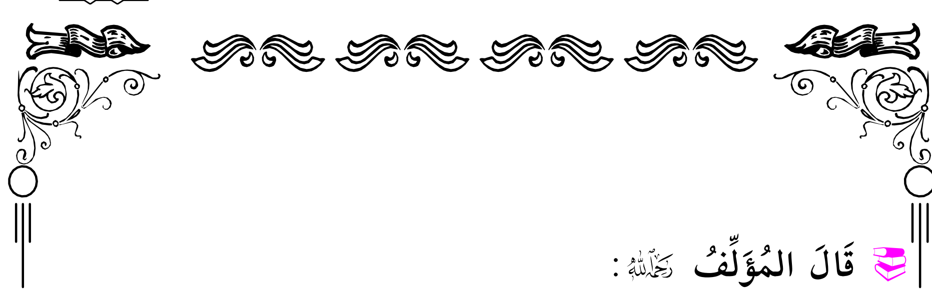
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب «في التلقين»، رقم (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣) من طريق صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٥٠٣).
وقال ابن الملقن: «هذا الحديث صحيح». «البدر المنير» (٥/ ١٨٩).
وأعلَّه **ابن القطان بصالح بن أبي عريب**، وأنه لا يُعْرَفُ، **وتعقِّب** بأنه روى عنه جماعة، وذكره **ابن حبان** في «الثقات». انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٤١٠)، و«البدر المنير» (٥/ ١٨٩)، و«التلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ١٠٣).

وكلمة التوحيد «لا إله إلَّا الله» مِفتاح الجنة، ولكن لها أسنان، قيل **لوهب بن منبه**: «أليس مفتاح الجنة «لا إله إلَّا الله»؟»، **قال**: «بلى، ولكن ليس مِنْ مِفتاح إلَّا وله أسنان، مَنْ أتى الباب بأسنانه فُتِحَ له، ومَنْ لم يأتِ الباب بأسنانه لم يُفْتَحْ له»[(١)].

وأسنانه الأعمال كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وبرِّ الوالدين، وصِلة الأرحام، وأن يجتنب المسلم المنهياتِ، فإذا وَحَّدَ الإنسان ربَّهُ واعتقد معنى الشهادتين وأتى بحقوقها وواجباتها، واستقام على دين الله، وترك المحرَّمات كان مِنْ أهل الجنة ـ إذا مات على ذلك غير مُغيِّرٍ ولا مُبَدِّلٍ ـ بفضلٍ مِنْ الله تعالى وإحسانٍ.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٢٠٨).
وأورد البخاري في «صحيحه» معلَّقًا في كتاب الجنائز، ووصله في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٥).
قال ابن حجر: هذا إسناد حسن موقوف، وقد علَّقه البخاري لوهب». «المطالب العالية» (١٢/ ٣٣٤).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نَشَرَ على منابر الكائنات أعلام التوحيد، ونكَّسَ رايات أهل الشِّرك والتنديد، وقصم بشدَّةِ بطشه كلَّ جبار عنيد، وأيَّدَ بنصره وتأييده مَنْ أفرده بالتوحيد، وسقى قلوبهم بوابل الكتاب وطلِّ السنة فأثمرت المعتقد الخالص والقول السَّديد.

يُعْطِي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصِل ويقطع، وله الحكمة البالغة والحجَّةُ الدَّامغة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله لذَّةَ النَّظر إلى وجهه في يوم المزيد.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له المحصي المبدئ الفعَّال لما يُرِيد، تعالى عن أن يكون له شريك في المُلْكِ أو وليٌّ مِنَ الذُّل أو صاحبة أو ولد أو والد أو كفؤ أو نديد.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله سيد الخلق وخاتم الرُّسُلِ الكرام العبيد، ﷺ وعلى آله وصحبه الذين جَرَّدُوا سيوف الحقِّ لإزهاق كلِّ باطل وإرغام كلِّ كَفَّارٍ عنيد».



الشَّرْح

افتتح **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بالبسملة تأسيًا بالكتاب العزيز فإن الله تعالى افتتح كتابه بالبسملة، وتأسيًا برسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ كان

يفتتح كتابه بها في رسائله إلى الملوك ورؤساء القبائل والعشائر كما كتب إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِاللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى...**» الحديث[١].

والصواب في البسملة أنها آية مُنفصِلة في أول كلِّ سورة، فهي ليست من الفاتحة كما أنها ليست من غيرها[٢].

○ قوله: «**بسم الله**» أي: باسم الله أستعين.

و«**الله**» لفظ جلالة لا يُسمَّى به غيره، وهو أعرف المعارف.

وأصله الإله، أُسْقِطَتْ الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة فأُدْغِمَتْ في الأخرى التي هي عين الاسم فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مُشدَّدة[٣].

ومعنى «**الله**»: المألوه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين**»[٤]، فالله هو المألوه الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً.

○ قوله: «**الرحمن**» اسم من أسماء الله تعالى لا يُسمَّى به غيره، المشتمل على الرحمة، يعني: ذو الرحمة، و«**الرحيم**» اسم آخر له.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب «كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ»، رقم (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٤٠).

(٣) «تفسير الطبري» (١/ ٥٥).

(٤) أخرجه الطبري في «التفسير» (١/ ٥٤).

لا يُسمَّى بـ«**الرحمن**» غيره، واسم «**الرحيم**» مشترك يُطلق على الله وغيرِهِ، قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، فوصف تعالى نبيه ﷺ بأنه رحيم.

وأسماء الله تعالى نوعان:

النوع الأول: ما هو خاصٌّ به ﷻ لا يُسمَّى به غيره كـ«الرحمن»، و«خالق الخلق»، و«مالك المُلك»، و«النافع الضار»، و«المحيي المميت»، و«المعطي المانع»، وغير ذلك.

النوع الثاني: أسماء مشتركة يُسمَّى بها الله ويُسمَّى بها غيره، فإذا سُمِّيَ بها الله فله الكمال، وإذا سُمِّيَ بها المخلوق فله ما يُناسبه كـ«العزيز»، و«العليم»، و«السميع»، و«البصير»، و«الحي»، و«الرحيم»، وغير ذلك.

مِنْ أسماء الله «المَلِكُ»، ويُسمَّى المخلوق «مَلِكًا» كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ [يوسف: ٥٠]، وكذا اسم «العزيز» كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]، وهكذا.

وافتتحها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحمد لله فقال: «**الحمد لله...**»، **والحمد** أكمل من **المدح**؛ فهو الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية مع حبِّهِ وإجلاله وتعظيمه، وأما **المدح** فهو أن تذكُرَ صفات الممدوح وقد تكون هذه الصفات اختيارية وقد تكون خِلْقية، فتُثْنِي على الإنسان وتمدحه ولا يلزم من ذلك أن تكون هذه الصفات اختيارية، بل هي جِبلِّية خلقه الله عليها، بخلاف **الحمد** الذي هو الثناء على المحمود بصفاته التي هي باختياره، فللإنسان صفات اضطرارية وصفات اختيارية، الاضطرارية ككونه طويلًا أو قصيرًا، والاختيارية ككونه

كريمًا أو يكظم غيظه أو شجاعًا فهذه التي يُثْنَى عليها الإنسان ويُمْدَحُ بها، **فالحمد** إخبار عن محاسن المحمود مع حبِّهِ وإجلاله وتعظيمه[(١)].

ولهذا جاء **الحمد** في حقِّ الرَّبِّ ﷻ، فتقول: «الحمد لله» ولا تقول: «أمدَحُ اللهَ» لأنه أكمل؛ فهو الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية مع الحبِّ والإجلال والتعظيم.

والألف واللام في **«الحمد لله»** للاستغراق، يعني: جميع أنواع المحامد مُستغرقة لله ملكًا واستحقاقًا، واللام في **«لله»** للملك، يعني: مستحقة لله.

○ قوله: **«الذي نَشَرَ على منابر الكائنات أعلام التوحيد»** جعل ﷻ الكائناتِ كلَّهَا السماواتِ والأرضينَ والبحارَ والأشجارَ والأنهارَ شاهدةً على وحدانيته وربوبيته وأنه المستحِقُّ للعبادة، وأنه الخالق القادر الذي لا شبيه له ولا نظير.

○ قوله: **«ونكَّسَ راياتِ أهل الشِّرك والتنديد»** فأهل الشِّرك والتنديد راياتهم مُنَكَّسَةٌ؛ لبطلانها وفسادها وعلوِّ أعلام التوحيد عليها.

○ قوله: **«وقصم بشدَّةِ بطشه كلَّ جبار عنيد»** أهلك الله تعالى كلَّ مَنْ تجبَّرَ على عباد الله وتجاوزَ حدَّهُ وطغى، وعاندَ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم يقبل هُدَى الله الذي أوحاه إلى أنبيائه ورُسُلِهِ، وقصمه وعاجله بالعقوبة ولم يُبْقِهِ، ولهذا الذين ادَّعُوا النبوة كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب[(٢)] لم تَطُلْ مُدَّتُهُمْ.

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٣٢٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب «علامات النبوة في الإسلام»، رقم (٣٦٢٠، ٣٦٢١)، وصحيح مسلم، كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٧٣، ٢٢٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

○ قوله: «وأيَّدَ بنصره وتأييده مَنْ أفرده بالتوحيد» فأيَّدَ الأنبياءَ والرُّسُلَ وأتباعهم والدُّعاةَ والمصلحين، وبقيت دعواتهم بتأييد الله لهم.

○ قوله: «وسقى قلوبهم بوابل الكتاب وطلِّ السنة» **الوابل** المطر الشديد، **والطَّلُّ** أضعف المطر، والمعنى: أنه سقى قلوبهم بوابل الكتاب ـ أي: المطر الشديد ـ وطلِّ السنة ـ وهو المطر الذي ينزل شيئًا بعد شيء ـ «فأثمرت المعتقد الخالص والقول السَّديد» لَمَّا سقى الله قلوبَ الأنبياء والرُّسُل والأولياء والصالحين بمطر الكتاب والسنة أثمرت العقيدة الخالصة والقول السديد الذي لا خطأ فيه.

○ قوله: «يُعْطِي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصِل ويقطع» هذا وصفه ﷻ.

يُعْطِي ﷻ مَنْ شاء، **ويمنع** عمن شاء، **ويخفض** ﷻ العُصاة والمشركين، **ويرفع** الأنبياء والرُّسُل والموحِّدين والدُّعاة وأتباعهم، **ويصِل** ﷻ مَنْ شاء، **ويقطع** مَنْ شاء؛ وذلك وَفْقَ حكمته ﷻ، ولهذا **قال** ﵀: «وله الحكمة البالغة والحجَّةُ الدَّامغة» التي تدمَغُ أهل الباطل، فليس لأحد حُجَةٌ على الله؛ فقد أرسل الله تعالى الرُّسُلَ مبشِّرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥].

○ قوله: «﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فُصّلت: ٤٦]» أي: لا يُعاقِب أحدًا إلَّا بذنبه، ولا يُعذِّب أحدًا إلَّا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٠٤).

نفى الله تعالى الظُّلْمَ عن نفسه ـ وأصل الظُّلْم وضع الشيء غير موضعه ـ ونَزَّه نفسَهُ عنه فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، وفي «صحيح مسلم»[١] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**».

○ قوله: «**أحمده سبحانه**» يعني: أذكر صفاته الاختيارية وأُثْنِي عليه بها سبحانه مُنزِّهًا له عمَّا لا يليق به سبحانه «**وأشكره**» أي: أشكره على نِعَمِهِ، بقلبي بتعظيمه، ولساني وجوارحي باستعمال نِعَمِهِ في طاعته.

○ قوله: «**وأتوب إليه**» أي: أرجع إليه من الذنوب والمعاصي، وأسأله التوبة عليَّ منها «**وأستغفره**» أي: أطلب منه المغفرة سبحانه وتعالى بأن يغفر لي الذنوب ويسترها عليَّ.

○ قوله: «**وأسأله لذَّةَ النَّظر إلى وجهه في يوم المزيد**» وهو يوم القيامة.

والنظر إلى وجه الله الكريم هو أعظم نعيم يُعْطَاهُ أهل الجنة ـ نسأل الله الكريم مِنْ فضله ـ، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد ثبت في «صحيح مسلم»[٢] عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟»، فَيَقُولُونَ: «أَلَمْ تُبَيِّضْ**

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٨١).

وُجُوهَنَا؟، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟»، فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»، ففسَّر النبي ﷺ قوله تعالى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ بالنظر إلى وجه الله الكريم، فإذا تجلَّى الرَّبُّ ﷻ لأهل الجنة وكشف الحجاب عنه ونظروا إليه نسوا ما هم فيه من النعيم.

○ قوله: «**وأشهد أن لا إله إلَّا الله**» يعني: أُقِرُّ واعترف بأنه لا معبود بحقٍّ إلَّا الله.

و«**لا إله إلَّا الله**» هي كلمة التوحيد، وهي أعظم وأفضل كلمة يتكلَّم بها الناس؛ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[(١)].

○ قوله: «**وحده**» تأكيدٌ «**لا شريك له**» في الألوهية كما أنه لا شريك له في الرُّبوبية والأسماء والصفات.

○ قوله: «**المحصي**» فمِنْ أسمائه ﷻ «المحصي»، فهو سبحانه يُحْصِي على عباده كلَّ شيء ولا يفوت عليه شيءٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب «في دعاء يوم عرفة»، رقم (٣٥٨٥) من طريق حماد بن أبي حميد عن عمرو بن شعيب به.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، **وحماد بن أبي حميد** هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث».

وقال ابن حجر: «وفي إسناده **حماد بن أبي حميد** وهو ضعيف». «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٥٤).

○ قوله: «**المبدئ**» كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ [البُرُوج: ١٣] فهو ﷻ يُبْدِئُ الخلق ويعيده، فأوجد الخلق مِنْ عدم ثم يعيدهم ويبعثهم للجزاء والحساب.

○ قوله: «**الفعَّال لما يُرِيد**» فيفعل ﷻ ما يُرِيد، وأفعاله مبنية على الحكمة.

○ قوله: «**تعالى**» يعني: تنزَّه «**عن أن يكون له شريك في المُلْكِ**»؛ فهو المالك لكلِّ شيء، وغيره مملوك، وهو الرَّبُّ وغيره مربوب، وهو الخالق وغيره مخلوق، وهو المُدبِّر وغيره مُدبَّر، لا شريك له في المُلْكِ ولا في الربوبية ولا الألوهية ولا في الأسماء والصفات.

○ قوله: «**أو وليٌّ مِنَ الذُّل**» أي: لم يتخذ وليًّا يحالفه ويعاونه لِذُلِّه، وكانتْ العرب يُحَالِفُ بعضُها بعضًا يلتمسون بذلك العِزَّ والمَنَعَةَ، فنفى ذلك عن نفسه جلَّ وعزَّ[1]، قال سبحانه: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾ [الإسرَاء: ١١١] فهو ﷻ يتولى عباده بفضله وإحسانه، ولا يحتاج إلى أحد ولا يذلُّ ولا يخضع لأحد؛ فليس فوقه أحد بل هو ﷻ فوق الجميع.

○ قوله: «**أو صاحبة**» الصَّاحبة: الزوجة، فهو ﷻ ليس له صاحبة؛ قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ [الأنعَام: ١٠١] فهو مُنَزَّهٌ عن ذلك، أما المخلوق فله صاحبة.

○ قوله: «**أو ولد أو والد**» فهو مُنَزَّهٌ عن ذلك كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣﴾ [الإخلاص: ١-٣].

(١) «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٢٩٤).

هو ﷻ لم يلد، أي: ليس له ولد تفرَّع منه وكان فرعًا له، وهو ﷻ لم يُولد، فليس له والد تفرَّع منه وكان أصلًا له، فهو سبحانه مُنزَّهٌ عن الولد والوالد، بل هو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، فهو سبحانه الأول الذي لا بداية لأوليته بأسمائه وصفاته وأفعاله، أما المخلوق مِنْ بني آدم فله والد ـ إلَّا آدم وحواء ـ لضعفه، وله ولد يحتاج إليه لا سيما عند الكبر، أما الله تعالى فلا ولد له ولا والد ولا صاحبة فلا يحتاج إلى أحد.

❍ قوله: «**أو كفؤ**» أي: مماثل، فليس له مثيل ولا شبيه سبحانه.

❍ قوله: «**أو نديد**» النَّدِيد: المِثْلُ والنظير، أي: ليس له من يُنَادُهُ ويماثله.

❍ قوله: «**وأشهد**» يعني: أُقِرُّ واعترف وأُعْلِنُ وأرفع صوتي بها «**أن سيدنا**» يعني: رئيسنا وكبيرنا وعظيمنا «**ونبينا محمدًا**» وهو محمد ابن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي «**عبده**» فهو عَبْدُاللهِ وليس إلهًا، وفيه الردُّ على مَنْ غلا في النبي ﷺ وجعله إلهًا يعبد «**ورسوله**» فهو رسول الله، والرسول عَبْدٌ وليس إلهًا، وفيه الردُّ على مَنْ غلا في النبي ﷺ وجعله إلهًا، فهو ﷺ بَشَرٌ يأكل ويشرب ويموت والإله لا يأكل ولا يشرب ولا يموت، بل هو عليه الصَّلاة والسَّلام عَبْدٌ مِنْ العبيد لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، لكنَّ الله تعالى أكرمه بالرِّسالة، فهو رسول أرسله الله تعالى وبعثه إلى الثقلين الجنِّ والإنس ليدعو إلى التوحيد وينهى عن الشِّرك، وفي هذا ردٌّ على مَنْ جفا الرسول ﷺ وأنكر نبوته ورسالته.

○ قوله: «**سيد الخلق**» في «صحيح مسلم»[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قال الإمام النووي رحمه الله: «**قال الهروي**: السَّيِّدُ هو الذي يفوق قومه في الخير، **وقال غيره**: هو الذي يُفْزَعُ إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم وَيَتَحَمَّلُ عنهم مكارههم ويدفعها عنهم، وأما قوله ﷺ «**يوم القيامة**» مع أنه سَيِّدُهُمْ في الدنيا والآخرة فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكلِّ أحد ولا يبقى معاند ونحوه، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين»[٢] «**وخاتم الرُّسُلِ الكرام**» كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي «صحيح مسلم»[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**[٤]**، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**» «**العبيد**» يعني: الذين عبدوا الله ووحَّدُوه.

○ قوله: «**صلَّى الله عليه**» هذا خبر بمعنى الدعاء، والمعنى: اللهم صلِّ عليه.

وأصح ما قيل في تعريف صلاة الله على عبده[٥]: ما رواه

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٨).

(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٥/ ٣٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢٣).

(٤) **قال الإمام النووي**: «وفي الرواية الأخرى: «**بُعِثْتُ بجوامع الكلم**»، **قال الهروي**: يعني به القرآن، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني». شرح النووي على «صحيح مسلم» (٥/ ٥).

(٥) انظر: «فتح الباري» (١١/ ١٥٦).

البخاري في «صحيحه»[(١)] قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ»، فأنت تسأل الله تعالى أن يُثنِي على عبده في الملإ الأعلى، والصلاة من الملائكة والآدميين هي دعاء الله.

○ قوله: «**وسلَّم**» يعني: اللهم سَلِّمْهُ من الآفات، فأنت تدعو اللهَ أن يُسَلِّمَ نبيه ﷺ من الآفات ومن عذاب النار.

وفي هذا: دليل على عدم ألوهيته ﷺ؛ لأنه يُدْعَى له بالسَّلامة والإله لا يُدْعَى له، **وفيه**: ردٌّ على مَنْ عَبَدَ الرسولَ ﷺ.

○ قوله: «**وعلى آله**» **قيل**: آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصَّة، **وقيل**: هم أمته وأتباعه إلى يوم القيامة، وهذا عامٌّ ويدخل فيه دخولًا أوليًّا أزواجه وذريته وأقاربه المؤمنون[(٢)].

○ قوله: «**وصحبه**» جمع صاحب، **وأصح** ما وقفتُ عليه من ذلك: أن الصحابي مَنْ لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام[(٣)].

وقولنا «مَنْ لقي النبي ﷺ» يشمل العميان **كعبد الله بن أم مكتوم** رضي الله عنه، وهذا التعريف أولى مِنْ «كلُّ مَنْ رأى النبي ﷺ»؛ لأن **ابن أم مكتوم** صحابي وهو لم يرَ النبي ﷺ لكن لقيه، فكلُّ من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ولو لحظة ثم مات على الإسلام فهو صحابي، ولو كان صغيرًا أو صبيًّا.

وإذا فُسِّرَ الآل بأتباعه على دينه يكون قد صَلَّى **المؤلف** رحمه الله

---

(١) ذكره البخاري في «صحيحه» (٤/١٨٠٢) مُعلَّقًا بصيغة الجزم.
ووصله القاضي أبو إسحاق في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (٩٥).

(٢) انظر: «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص ٢١٠، ٢١١).

(٣) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٦/١).

على الصحابة ﷺ مرتين، مرةً بالعموم وأخرى بالخصوص، فهذا تخصيص بعد تعميم.

○ قوله: «الذين جَرَّدُوا سيوف الحقِّ لإزهاق كلِّ باطل» جرَّدَ الصحابة الكرام ﷺ سيوف الحقِّ وجاهدوا مع النبي ﷺ في سبيل الله لإزهاق وإذهاب كلَّ باطل «وإرغام كلِّ كَفَّارٍ عنيد» على الدخول في الإسلام.

هذا وصفهم ﷺ، فهم أفضل الناس وخيرهم بعد الأنبياء، وليسوا بمعصومين، ولا كان ولا يكون مثلهم، وعلى المسلم أن يترضَّى عنهم ويترحَّم عليهم؛ فقد زكَّاهم الله وعدَّلهم في كتابه، ووعدهم بالجنة على العموم.

ولا يجوز لأحد أن يتكلَّم فيهم أو يذكرَ مَسَاوِيهِمْ، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ في «العقيدة الواسطية»[(١)] «وَيُمْسِكُونَ عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار الْمَرْوِيَّةَ في مَسَاوِيهِمْ منها ما هو كذب، ومنها ما قد زِيدَ فيه وَنُقِصَ وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كلَّ واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السَّوَابِقِ والفضائل ما يُوجِب مغفرة ما يصدر منهم - إن صدر - حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون[(٢)] وأن الْمُدَّ

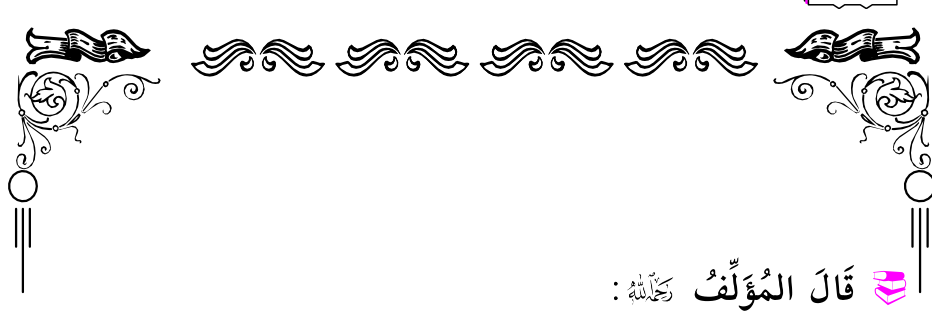
(١) «العقيدة الواسطية» (ص ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب «فضائل أصحاب النبي ﷺ»، رقم (٣٦٥١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود ﷺ.

من أحدهم إذا تصدَّق به كان أفضل من جبل أُحُدٍ ذهبًا ممن بعدهم[١]، ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفِرَ له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحقُّ الناس بشفاعته، أو ابْتُلِيَ ببلاء الدنيا كُفِّرَ به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب الْمُحَقَّقَةِ فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور؟!».

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب «قول النبي ﷺ «لو كنت متخذًا خليلًا» قاله أبو سعيد»، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٤١) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



 قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«أما بعد: ...

فأوصِيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله.

واعلموا أنكم لم تُخْلَقُوا عبثًا ولن تُتْرَكُوا سُدىً، بل واللهِ خلقكم لأمرٍ عظيمٍ وخَطْبٍ جسيمٍ بَيَّنَهُ في محكم تنزيله ـ وهو الحكيم في خلقه وشرعه الصادق في قيله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝﴾ [النِّسَاء: ١٢٢] وأبين دليلًا ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝﴾ [الذّاريات: ٥٦-٥٧]، فأخبرنا تعالى أنه ما خلقنا إلَّا لعبادته».

الشَّرْحُ

○ قوله: «أما بعد: ...» يُؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، وتُقال في الخطب والرسائل(١)، وكان النبي ﷺ يأتي بها في خطبه ورسائله كما في «الصحيحين»(٢) لَمَّا كَتَبَ إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِاللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ

(١) وقد عقد البخاري في «صحيحه» (١/ ٣١٢) بابًا في استحبابه، قال: باب «من قال في الخطبة بعد الثناء «أما بعد»»، وذكر فيه جملة من الأحاديث.

(٢) تقدَّم تخريجه.

الرُّوم، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ...» الحديث، وكان ﷺ يقولها في خطبته كما روى مسلم في «صحيحه»[(١)] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ...»**، وهي أفضل من «وبعد».

واختلف **العلماء** في أول من تكلَّم به؟، **فقيل**: داود عليه السلام، **وقيل**: يعرب بن قحطان، **وقيل**: قس بن ساعدة، **وقال بعض المفسرين أو كثير منهم**: إنه فصل الخطاب الذي أوتيه داود، **وقال المحقِّقُون**: فصل الخطاب: الفصل بين الحقِّ والباطل[(٢)].

○ قوله: «**فأوصِيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله**» يُوصِي **المؤلف** رحمه الله نفسَهُ والمسلمين بتقوى الله تعالى، «**فاتقوا الله عباد الله**» وهذا أمر منه رحمه الله.

والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وهي وصية النبي ﷺ لأمته، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، رقم (٨٦٧).

(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (٦/ ١٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب «ما جاء في معاشرة الناس»، رقم (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٧٧) من طريق ميمون بن أبي شبيب، عن أبي ذر رضي الله عنه. =

وأصل التقوى توحيد الله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، عن طلق بن حبيب أنه قال له بكر بن عبدالله: «ألا تجمع لنا التقوى في كلام يسير ترويه؟»، **فقال طلق**: «التقوى: أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمه الله على نور من الله، والتقوى: أن تترك معصية الله مخافة عذاب الله على نور من الله»[(١)].

○ قوله: «**رحمكم الله**» وهذا مِنْ نصحه رحمه الله، فيأمرنا بالتقوى ويدعو لنا بالرحمة.

○ قوله: «**واعلموا**» يعني: تيقَّنُوا «**أنكم لم تُخْلَقُوا عبثًا ولن تُتْرَكُوا سُدىً، بل واللهِ**» وأقسم رحمه الله وهو بارٌّ في قَسَمِهِ «**خلقكم لأمرٍ عظيمٍ وخَطْبٍ**» يعني: حال وشأن «**جسيمٍ**»، ما هذا الأمر؟.

• **الجواب**: في قوله: «**بَيَّنَهُ في محكم تنزيله**» وهو القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصّلَت: ٤٢]، تكلَّم الله تعالى به، وسَمِعَه منه جبريل عليه السلام، ونزل به على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٢-١٩٤].

○ قوله: «**ـ وهو**» أي: الرَّبُّ سبحانه وتعالى «**الحكيم في خلقه وشرعه**» فلا يخلق شيئًا إلَّا لحكمة، ولا يشرع شيئًا إلا لحكمة، وهو مُنَزَّهٌ عن العبث سبحانه وتعالى «**الصادق في قيله**» أي: خبرِهِ، فلا أحد أصدق منه

= **قال الترمذي**: «هذا حديث حسن صحيح».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ١٢١)
وميمون بن شبيب لم يصح سماعه من أحد من الصحابة. انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٥٧) فقد بسط الكلام على الحديث سندًا وشرحا بسطًا شافيًا.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤٤٦) رقم (٢٣٦٤).

قولًا؛ «﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النِّسَاء: ١٢٢]» «**وأبين دليلًا** ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٦-٥٧]» فالحكمة مِنْ خلق الجنِّ والإنس أن يعبدوا الله ويعرفوه بأسمائه وصفاته ويتعبَّدُوا له بذلك، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطّلَاق: ١٢].

لم يخلقنا ﷻ لنأكل ونشرب ونعيش كما تعيش البهائم، ولا لنبني العمارات ونشق الأنهار ونغرس الأشجار فقط، بل خلقنا لعبادته، فنأكل ونشرب ونبني ونغرس ونستعين بذلك على طاعة الله وتوحيده وندعو إليه.

وفي ذلك: ردٌّ على مَنْ قال: «إن الله خلق الخلق كلهم لأجل محمد»، أو «إن آدم خُلِقَ لأجل محمد»[1] وهذا من **أبطل الباطل**؛ بل خلق الله الخلقَ لعبادته وتوحيده وطاعته.

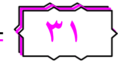
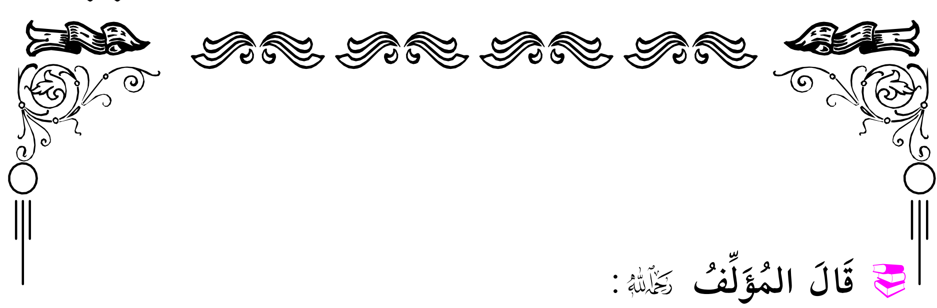
ثم قال سبحانه: «﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٧]» لم يرد الله تعالى من الخلق أن يرزقوه ولا يطعموه، فهو

---

(١) أخرج الخلال في «السنة» رقم (٣١٦) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: «أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى ﷺ فيما أوحى أن صدِّق محمدًا وأمر أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به؛ فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت «لا إله إلَّا الله محمد رسول الله» فسكن».
قال الذهبي: «**عمرو بن أوس** يُجْهَلُ حاله، أتى **بخبر منكر** أخرجه الحاكم في مستدركه ـ وأظنه **موضوعًا** ـ من طريق جندل بن والق.
حدثنا عمرو بن أوس، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى عيسى آمِنْ بمحمد؛ فلولاه ما خلقت آدم، ولا الجنة ولا النار... » الحديث. «ميزان الاعتدال» (٥/ ٢٩٩).

سبحانه لا يَطعم وهو يُطعِم، فهو سبحانه مُنَزَّهٌ عن الأكل والشرب والحاجة، وهو ﷻ صمد لا يحتاج إلى أحد «**فأخبرنا تعالى أنه ما خلقنا إلَّا لعبادته**».



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«والعبادة: هي اسمٌ جامع لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وأصل العبادة وقِوامها الذي لا قِوام لها بدونه: هو التوحيد الذي أُرْسِلَتْ به الرُّسُلُ، وأُنْزِلَتْ به الكُتُبُ، ومِنْ أجله أُمِرَ بالجهاد وفُرِضَ على كلِّ فرد من الأفراد، ولأجله خُلِقَتِ الدنيا والآخرة والجنة والنار.

والجامع له كلمةٌ خفيفةُ اللفظِ واسعةُ المعنى جليلةُ القدرِ، وهي «لا إله إلَّا الله»، كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة؛ فهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية الأركان والفرائض مُتفرِّعَةٌ عنها متشعِّبَةٌ منها مكملات لها مُقيَّدَةٌ بالتزام معناها والعمل بمقتضاها؛ فهي العُرْوَةُ الوثقى التي قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]».

الشَّرْحُ

○ قوله: «والعبادة: هي اسمٌ جامع لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة» وهذا التعريف أخذه رَحِمَهُ اللهُ من كلام **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ، فهو الذي عَرَّفَها بهذا، وهو **أصحُّ**

ما قيل في تعريفها، **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي اسم جامع لكلِّ ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحجُّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرُّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة»[(١)].

وقال بعض العلماء: هي ما أُمِرَ به شرعًا مِنْ غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي[(٢)]، أي: ليست هي أمرًا مطردًا عرفًا ولا شيئًا اقتضاه العقل، بل لأن الله تعالى أمر به، يعني: العبادة أن تفعل الأوامر وتترك النواهي محبة وإجلالًا وخوفًا ورجاءً.

والأوامر نوعان: **أمرُ إيجابٍ** كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، **وأمرُ استحبابٍ** كأمره ﷺ بالسواك عند كلِّ صلاة[(٣)]، فيفعل المسلم العبادة سواء كان الأمر إيجابًا أو استحبابًا.

والنواهي نوعان: **نهيُ تحريم** كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩).

(٢) نقله **ابن مفلح** في «الفروع» (١/ ١١١) عن **الفخر إسماعيل وأبي البقاء وغيرهما**.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «السواك يوم الجمعة»، رقم (٨٨٧)، ومسلم، كتاب الطهارة، رقم (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعَام: ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ [الإسرَاء: ٣٢]، **ونهيُ تنزيهٍ** كنهي النبي ﷺ عن الحديث بعد صلاة العشاء[١].

العبادة فعل الأوامر وترك النواهي عن رغبةٍ ونيةٍ وإخلاصٍ وصدقٍ ومحبةٍ وامتثالٍ، وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهي عنه الشِّرك.

○ قوله: **«وأصل العبادة»** أي: أساسها **«وقِوامها الذي لا قِوام لها بدونه»** ـ وقِوام كلِّ شيء: عماده ـ **«هو التوحيد الذي أُرْسِلَتْ به الرُّسُلُ»** والتوحيد هو الإفراد، بأن تُفْرِدَ الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فتعتقد أن الله واحد في ربوبيته فلا شريك له ولا مُدبِّرَ معه، بل مُنْفَرِدٌ بالخلق والرزق والإماتة والإحياء ليس له شريك، وتُفْرِدُهُ بالألوهية والعبادة فتقصد بجميع أعمالك التي تتعبَّد بها اللهَ دون غيره فتُوحِّد الله في الصلاة والصيام والزكاة والحج والدعاء والذبح والنذر وبرِّ الوالدين وصِلَةِ الرِّحم، وتُفْرِدُهُ في الأسماء فأسماء الله تعالى خاصَّةٌ به لا يشاركه فيها أحد في الكمال، وكذلك في الصفات والأفعال، هذا أصل العبادة الذي لا قِوام لها بدونه، وهو التوحيد الذي أُرْسِلَتْ به الرُّسُلُ **«وأُنْزِلَتْ به الكُتُبُ»**.

○ قوله: **«ومِنْ أجله أُمِرَ بالجهاد»** مِنْ أجل التوحيد أمر الله تعالى بقتال المشركين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ﴾ [التوبَة: ٣٦]، فأمر تعالى بقتلهم لا للتَّشفِّي ولا لإراقة دمائهم بل ليعبدوا الله ويُوحِّدُوه ويخلصوا له العبادة.

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب «ما يكره من النوم قبل العشاء»، رقم (٥٦٨)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٤٧) من حديث أبي برزة رضي الله عنه.

○ قوله: «**وفُرِضَ على كلِّ فرد من الأفراد**» فالجهاد إما فرضُ عينٍ وإما فرضُ كفايةٍ.

ويتعيَّن الجهاد في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا التقى الزَّحفان وتقابل الصَّفَّان حَرُمَ على مَنْ حضر الانصرافُ وتعيَّن عليه المقامُ.

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد تعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قومًا لَزِمَهُمْ النفير معه(١).

○ قوله: «**ولأجله**» أي: لأجل التوحيد «**خُلِقَتِ الدنيا والآخرة والجنة والنار**».

○ قوله: «**والجامع له**» أي: للتوحيد «**كلمةٌ خفيفةُ اللفظِ واسعةٌ المعنى جليلةُ القدرِ، وهي «لا إله إلَّا الله»**» ولا بُدَّ أن تعرف معنى هذه الكلمة.

وهذه الكلمة مشتملة على أصلين:

الأول: في صدرها «لا إله» النفيُ، وهذا هو الكفر بالطاغوت، والبراءة مِنْ كلِّ معبود سوى الله، ونفي العبادة عن غيره.

الثاني: في عجزها «إلَّا الله» الإثباتُ، وهو إثبات الإيمان بالله.

ولا يكون التوحيد إلَّا بنفي وإثبات، «لا إله» نفي و«إلَّا الله» إثبات، فلو قال إنسان: «أنا أعبد الله ولا أنفي العبادة عن غيره» كان مُشْرِكًا؛ بل لا بُدَّ أن تعبد الله وتنفي العبادة عن غيره، وتعتقد أن مَنْ عَبَدَ غيره مُشْرِكٌ.

وليس هناك توحيد إلَّا بكفر وإيمان، كفر بالطاغوت وإيمان

---

(١) «المغني» لابن قدامة (٩/ ١٦٣).

بالله، «لا إله» هذا كفر بالطاغوت و«إلَّا الله» هذا إيمان بالله، قال ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، وكلُّ ما عُبِدَ من دون الله فهو طاغوت، ومعنى الكفر بالطاغوت: نفي عبادة غير الله وإنكارها، والبراءة منها ومن أهلها وعابديها، وتكفيرهم ومعاداتهم.

ومِنْ الكفر بالطاغوت: أن تعتقد أن **اليهود والنصارى والوثنيين** على دين باطل، وليس على الدين الحقِّ إلَّا **أهل التوحيد.**

ولا يلزم من ذلك أن تقاتلهم؛ **فالكافر نوعان**[1]:

الأول: محارِب، وهو الذي يُقاتل المسلمين، وهذا دمه وماله حلال، ويقاتله المسلمون.

الثاني: غير محارِب، وهذا إما أن يكون **ذميًّا كاليهود والنصارى** الذين تحت حكم الدولة الإسلامية فيدفعون الجزية ودمهم ومالهم معصوم، وإما أن يكون **مستأمنًا** وهو الذي دخل بعهد وأمان ـ ولو كان قومه محاربين ـ فهذا دمه وماله معصوم؛ لما روى البخاري في «صحيحه»[2] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»، ومع ذلك تبغضهم وتعتقد أنهم أعداء لله وتتبرَّأ منهم ومِنْ دينهم.

○ قوله: «**كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة**» وهي الجنة، كما

---

(١) انظر: «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (٢/ ٨٧٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب «إثم من قتل معاهدًا بغير جرم»، رقم (٣١٦٦).

(٣) تقدَّم تخريجه.

تقدَّم[١] قيل **لوهب بن منبه**: «أليس مفتاح الجنة «لا إله إلَّا الله؟»»، **قال**: «بلى، ولكن ليس مِنْ مفتاح إلَّا وله أسنان، مَنْ أتى الباب بأسنانه فُتِحَ له، ومَنْ لم يأتِ الباب بأسنانه لم يُفْتَحْ له».

○ قوله: «**فهي أصل الدين وأساسه**» أصل الدين وأساسه الشهادة لله تعالى بالوحدانية.

○ قوله: «**و**» هذه الكلمة هي «**رأس أمره**» أي: رأس أمر هذا الدين الذي جاء به النبي ﷺ «**وساق شجرته**» فالإسلام شجرة وساقها التوحيد «**وعمود فسطاطه**» والفسطاط: بيت من شعر[٢] وهي الخيمة، فالتوحيد هو العمود الذي يقوم عليه الفسطاط، وإذا سَقَطَ سَقَطَ الفسطاط.

○ قوله: «**وبقية الأركان والفرائض**» كالصلاة والصيام والزكاة والحج «**مُتفرِّعَةٌ عنها**» أي: مُتفرِّعَةٌ عن شجرة الإسلام «**متشعِّبَةٌ منها**» أي: من هذه الشجرة، يعني: الإسلام شجرة ساقها التوحيد والفرائض والأركان مُتفرِّعَةٌ عنها متشعِّبَةٌ منها «**مكملات لها مُقيَّدَةٌ بالتزام معناها**» يعني: الأركان والفرائض مُقيَّدَةٌ بأن يلتزم الإنسان بمعنى هذه الكلمة، وهي إثبات العبادة لله ونفيها عمن سواه، فلا تصح الصلاة ولا غيرها من العبادات حتى يلتزم بمعنى التوحيد وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإذا صَلَّى ولم يكفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله لم تصح صلاته، وإذا زَكَّى ولم يكفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله لم تصح زكاته، وكذا إذا صام أو حجَّ، وهكذا، «**والعمل بمقتضاها**» أي: يعمل بمقتضى هذه الكلمة من أداء الواجبات وترك المحرَّمات.

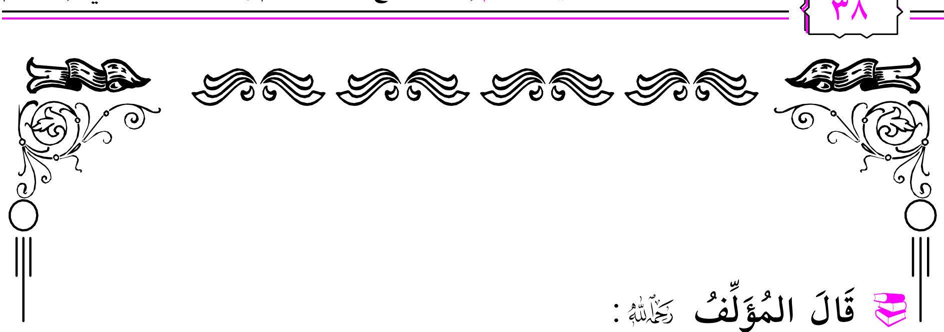
---

(١) «لسان العرب» (٧/ ٣٧١).

○ قوله: «**فهي**» يعني: كلمة التوحيد «**العُرْوَةُ الوثقى التي قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾** [البَقَرَة: ٢٥٦] **الآية**» والعُرْوَةُ في هذا المكان مَثَلٌ للإيمان الذي اعتصم به المؤمن، فشَبَّهَهُ في تعلُّقِهِ به وتمسُّكِهِ به بالمتمسِّك بعُروة الشيء الذي له عروة يُتَمسَّكُ بها إذ كان كلُّ ذي عروة فإنما يتعلَّق مَنْ أراده بعُرْوته، وجعل جلَّ ثناؤه الإيمانَ الذي تمسَّكَ به الكافرُ بالطاغوت المؤمنُ بالله مِنْ أوثق عُرى الأشياء بقوله: ﴿ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾، و«الوُثْقَى» فُعْلَى مِنْ الوَثَاقة، يُقال في الذكر: «هو الأوثق»، وفي الأنثى: «هي الوُثْقَى»[1].



(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٠).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهي العهد الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مريم: ٨٧]، وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩﴾ [النمل: ٨٩]، وهي كلمة الحقِّ التي ذكر الله عز وجل في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦]، وهي كلمة التقوى التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]، وهي المَثَلُ الأعلى الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم: ٢٧]، وهي الحُسْنَى التي ذكر الله عز وجل في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧]، وهي القول الثَّابت الذي قال الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الآيات [إبراهيم: ٢٧]، وعنها يسأل الله الرُّسُلَ وأممهم حيث يقول تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، فيقول للرُّسُلِ: «ماذا أُجِبْتُمْ؟»، ويقول للأمم: «ماذا أَجَبْتُمُ المرسلين؟»، وفي الحديث: «لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كِفَّةٍ و«لا إله إلَّا الله» في كِفَّةٍ مالت بهن «لا إله إلَّا الله»».

الشَّرْح

كلُّ هذا أوصافٌ لكلمة التوحيد، فمن أوصافها: أنها **العُرْوة الوثقى**.

○ قوله: «**وهي العهد الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝﴾ [مريم: ٨٧]**» هذا استثناء منقطع، بمعنى: لكن مَنْ اتَّخذ عند الرحمن عهدًا، وهو شهادة أن لا إله إلَّا الله والقيام بحقِّهَا[(١)]، أي: لكن مِنْ اتَّخذ عهدًا عند الرحمن فله نصيب من الشفاعة، أمَّا مَنْ مات على الشِّرك فلا نصيب له منها؛ قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝﴾ [المدَّثر: ٤٨].

○ قوله: «**وهي الحسنة التي ذكر الله ﷻ في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝﴾ [النمل: ٨٩]**» قال ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: مَنْ جاء اللهَ بتوحيده والإيمان به وقولِ «لا إله إلَّا الله» موقِنًا به قلبُهُ فله مِنْ هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة، وذلك الخيرُ أن يثيبه اللهُ منها الجنةَ، ويؤمِّنَهُ مِنْ فزع الصَّيحة الكبرى، وهي النفخ في الصور»[(٢)].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [النمل: ٩٠] أي: ومَنْ جاء بالشِّرك ﷺ في نار جهنم.

فالمشرك الذي برَّ والديه أو تصدَّق بماله أو أحسن إلى الناس ومات على الشِّرك لا ينفعه عمله في الآخرة ويُجازى به في الدنيا صحةً في بدنه وولدًا ومالًا وطُعْمَةً يُطْعَمُ بها؛ روى مسلم في «صحيحه»[(٣)] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى**

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٩).
(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٢).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨٠٨).

إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» أي: أنه يُفْضِي للآخرة ولا حسنة له.

○ قوله: «وهي كلمة الحقِّ التي ذكر الله ﷻ في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦]» وشهادته بالحقِّ هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلَّا من آمن بالله وهم يعلمون حقيقة توحيده[١].

○ قوله: «وهي كلمة التقوى التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]» يقول: ألزمهم قول «لا إله إلَّا الله» الذي يتَّقُون به النار وأليم العذاب، وفي المسند من زوائد عبدالله بن الإمام أحمد عن الطفيل ـ يعني: ابن أبي بن كعب رضي الله عنه ـ عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ قال: «لا إله إلا الله»[٢]. فاستكبر عنها المشركون يوم الحديبية، وكاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة، وقوله: ﴿وَأَهْلَهَا﴾ وكان رسول الله ﷺ والمؤمنون أهلَ كلمة التقوى دون المشركين؛ فأخبر أنه وضع هذه الكلمة عند أهلها ومن هم أحق بها وأنه أعلم بمن يستحقها من غيرهم[٣].

○ قوله: «وهي المَثَلُ الأعلى الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم: ٢٧]» قال قتادة: «شهادة أن لا إله إلا الله»[٤].

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٥/ ١٠٥).
(٢) أخرجه أحمد، رقم (٢١٢٥٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦/ ١٠٤ ـ ١٠٦) و«شفاء العليل» (١/ ٢٠٣) و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٤٥).
(٤) «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٣٠).

○ قوله: «**وهي الحُسْنَى التي ذكر الله ﷻ في قوله:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧]» وفي الحسنى ستة أقوال، **أحدها**: أنه لا إله إلَّا الله، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الضحاك(١).

○ قوله: «**وهي القول الثَّابت الذي قال الله ﷻ:** ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الآيات [إبراهيم: ٢٧]» والقول الثابت هو كلمة التوحيد، وهي قول «لا إله إلَّا الله».

في «الصحيحين»(٢) عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، قَالَ: «**نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ؟»، فَيَقُولُ: «رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ** ﷺ»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾»، وأخرج ابن جرير عن طاووس قال في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: «لا إله إلَّا الله»(٣) نسأل الله الكريم من فضله.

○ قوله: «**وعنها**» يعني: عن كلمة التوحيد «**يسأل الله الرُّسُلَ وأممهم حيث يقول تعالى:** ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، **فيقول للرُّسُلِ: «ماذا أُجِبْتُمْ؟»، ويقول للأمم: «ماذا أَجَبْتُمُ المرسلين؟»**» **قال الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وقوله ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥]، وقوله: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ

---

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٩/ ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «ما جاء في عذاب القبر»، رقم (١٣٦٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٧١) ـ واللفظ له ـ.

(٣) «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٠٢).

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المَائدة: ١٠٩] فالرَّبُّ تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأممَ عمَّا أجابوا رُسُلَهُ فيما أرسلهم به، ويسأل الرُّسُلَ أيضًا عن إبلاغ رسالاته»[(١)]، كلمتان يُسأل عنها الأوَّلُون والآخرون، يُسأل الرُّسُلُ عن تبليغ الرِّسالة، وتُسأل الأممُ عن إجابة الرُّسُلِ.

○ قوله: **«وفي الحديث: «لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كِفَّةٍ و«لا إله إلَّا الله» في كِفَّةٍ مالت بهن «لا إله إلَّا الله»»»**
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ مُوسَى: «يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ»، قَالَ: «يَا مُوسَى، «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»»، قَالَ مُوسَى: «يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا»، قَالَ: «قُلْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»»، قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصَّنِي بِهِ»، قَالَ: «يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»»»**[(٢)]، وفي إسناده أبا السمح دراج بن سمعان قال عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله: «صدوق، في حديثه عن **أبي الهيثم** ضعف»[(٣)].

ويشهد لهذا الحديث: حديث البطاقة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٨٨).

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٠٨) رقم (١٠٦٧٠)، والطبراني في «الدعاء» رقم (١٤٨٠) من طريق درَّاج عن أبي الهيثم عنه.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٧١٠).

(٣) «تقريب التهذيب» (ص ٢٠١).

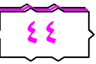
سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟»، فَيَقُولُ: «لَا يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «أَفَلَكَ عُذْرٌ؟»، فَيَقُولُ: «لَا يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ»، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، فَيَقُولُ: «احْضُرْ وَزْنَكَ»، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟!»، فَقَالَ: «إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[1].

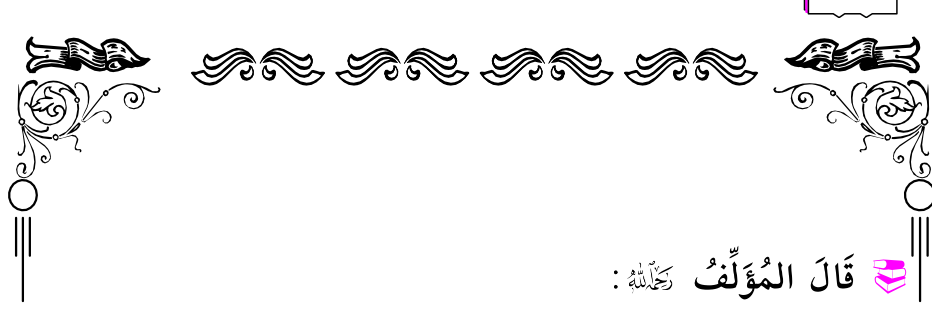
❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب «ما جاء فيمن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله»، رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب «ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة»، رقم (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح لم يخرج في «الصحيحين»، وهو صحيح على شرط مسلم» «المستدرك» (١/ ٤٦).





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ولكنها قد قُيِّدَتْ بقيودٍ[1] ثِقالٍ هي أثقل على مَنْ أضلَّهُ الله مِنْ الجبال وأشقُّ عليه حملها مِنَ السَّلاسل والأغلال، أما مَنْ وَفَّقَهُ الله وهداه ويَسَّرَ له سُبُلَ النجاة وجعل هواه تبعًا لما جاء به رسوله ومصطفاه فهي أسهل عليه وألذُّ لديه مِنْ العذب الزُّلال».

الشَّرْحُ

○ قوله: **«ولكنها»** أي: كلمة التوحيد **«قد قُيِّدَتْ بقيودٍ»** أي: شروط ومقتضيات، **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ في منظومته «سلم الوصول»:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًّا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلَّا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادْرِ ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما أحبه

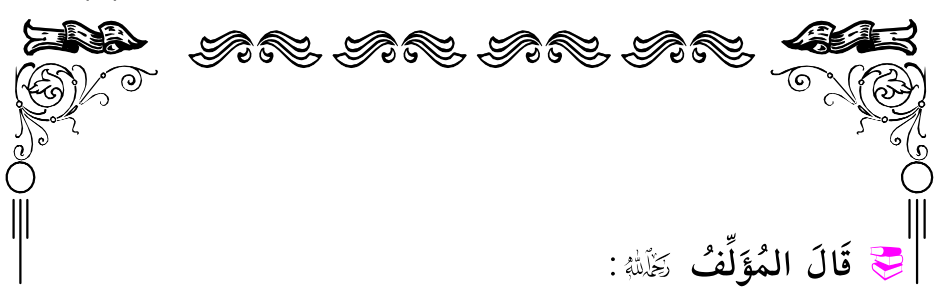
○ قوله: **«ثِقالٍ، هي أثقل على مَنْ أضلَّهُ الله مِنْ الجبال»** لا يستطيع تحقِيقُهَا **«وأشقُّ عليه حملها مِنَ السَّلاسل والأغلال»**؛ لأن الله خذله لعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن ذاته لا تَصْلُحُ للخير ـ نسأل الله العافية ـ.

○ قوله: **«أما مَنْ وَفَّقَهُ الله وهداه ويَسَّرَ له سُبُلَ النجاة وجعل هواه تبعًا لما جاء به رسوله ومصطفاه فهي أسهل عليه وألذُّ لديه مِنْ العذب الزُّلال»** أي: من الماء العذب الحَلو.

---

(١) انظر: «معارج القبول» (١/ ٣٢).





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الأول: العلم بمعناها الذي دلَّتْ عليه وأرشدت إليه، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦] أي: شَهِدُوا بـ«لا إله إلَّا الله» وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم، وفي مسلم عن عثمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه «لا إله إلَّا الله» دخل الجنة»؛ فقيَّدَهَا بالعلم بمعناها، وهو نفي العبادة عن كلِّ ما سوى الله ﷻ، وإثباتها لله وحده لا شريك له.

أما مَنْ يهذي بها هذيانًا ككلام النائم لا يعلم معناها فكيف ينفي ما نفتْ ويُثْبِتُ ما أثبتت وهو لا يعلم شيئًا من ذلك؟!، أم كيف يعمل بمقتضى ما لا يعلمه؟!».

الشَّرْحُ

كلمة «لا إله إلَّا الله» هي التي وَرَّثَهَا إمام الحنفاء ﷺ لأتباعه إلى يوم القيامة، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّسَتِ المِلَّةِ، ونُصِبَتِ القبلة، وجُرِّدَتْ سيوف الجهاد، وهي محضُّ حقِّ الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا تدخل الجنة إلَّا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يَتَعَلَّقْ

بسببه، وهى كلمة الاسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقى وسعيد ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وَتَمَيَّزَتْ دار النعيم من دار الشقاء والهوان[١].

ولا يكفي أن يقولها الإنسان بلسانه، بل لا بُدَّ من أن يؤدي شروطها وقيودها ومقتضياتها.

الشرط «**الأول: العلم**» المنافي للجهل «**بمعناها الذي دلَّتْ عليه وأرشدت إليه**».

الدليل من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] يعني: قُلْ «لا إله إلَّا الله» عن علم ويقين، والعلم ضدُّ الشَّكِّ والظَّنِّ.

و«**قال الله تعالى**: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦] أي: شَهِدُوا بـ«لا إله إلَّا الله» وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم» فأراد بشهادة الحقِّ قول «لا إله إلَّا الله» كلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم ما شَهِدُوا به بألسنتهم[٢].

○ قوله: «**و**» الدليل من السنة: «**في مسلم**[٣] **عن عثمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه «لا إله إلَّا الله» دخل الجنة»»؛ فقيَّدَهَا بالعلم بمعناها**» معناها النفي والإثبات، صدرها «لا إله» نفي، وعجزها «إلَّا الله» إثبات.

○ قوله: «**وهو نفي العبادة عن كلِّ ما سوى الله ﷻ، وإثباتها لله وحده لا شريك له**» وتقدَّم تعريف **المؤلف** ؒ للعبادة بقوله «هي

---

(١) «الجواب الكافي» لابن القيم (ص ١٣٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٤٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٦).

اسمٌ جامع لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

صدرها «لا إله» نفي، وعجزها «إلَّا الله» إثبات، فتنفي الصلاة لغير الله وتُثْبِتُهَا له، وتنفي الزكاة لغير الله وتُثْبِتُهَا له، ولا تدعو إلَّا الله، والمراد الدعاء فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، أما دعاء الحي الحاضر القادر كأن تنادي شخصًا «يا فلان، أعني على قضاء حاجتي، على إصلاح سيارتي، يا فلان أقرضني مالًا» فهذا لا بأس به وليس من العبادة، أما دعاء الميت ودعاء الغائب كأن يدعو ميتًا أو غائبًا «يا فلان، أغثني» أو يدعو حيًّا حاضرًا فيما لا يقدر عليه إلَّا الله كأن يقول له : «يا فلان، نجني من النار، أو اشفِ مرضي» فهذا شرك.

فلا بد أن تنفي جميع أنواع العبادة لغير الله تعالى، فتنفي الركوع، والسجود، والصلاة، والزكاة، والصوم، والذبح، والنذر، والخشوع، والخضوع، والرغبة، وبرَّ الوالدين، وصِلَةَ الأرحام، إلى غير ذلك عن غير الله تعالى، وتُثْبِتُهَا له سبحانه وتخصُّه بها.

فهذا **الشرط الأول**: العلم بمعناها الذي دلَّتْ عليه وأرشدت إليه المنافي للجهل، وأن معناها مكون من شيئين : نفي وإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، بأن تتبرَّأَ مِنْ عبادة كلِّ معبود سوى الله، وتنكر هذه العبادة وتنفيها وتبغضها، وتُكفِّرُ أهلها وتعاديهم، وهذا هو الكفر بالطاغوت، وتُثْبِتَ العبادة بجميع أنواعها لله وتخصُّه بها، وهذا هو الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، فهي مشتملة على أصلين نفي وإثبات، **الأول** هو النفي وهو الكفر بالطاغوت، **والثاني**: هو الإيمان بالله، وليس هناك توحيد إلَّا بهما.

و«لا» في كلمة التوحيد نافية للجنس، من أخوات «إنَّ»، تنصب الاسم وترفع الخبر، و«إلهَ» أي: معبود، اسم جنس، اسمها منصوب، والخبر محذوف، وتقديره: حقٌ، و«إلَّا» أداة استثناء، والاسم الشريف «الله» بدل من الخبر المحذوف، ومعناها لا معبود حقٌّ إلَّا الله.

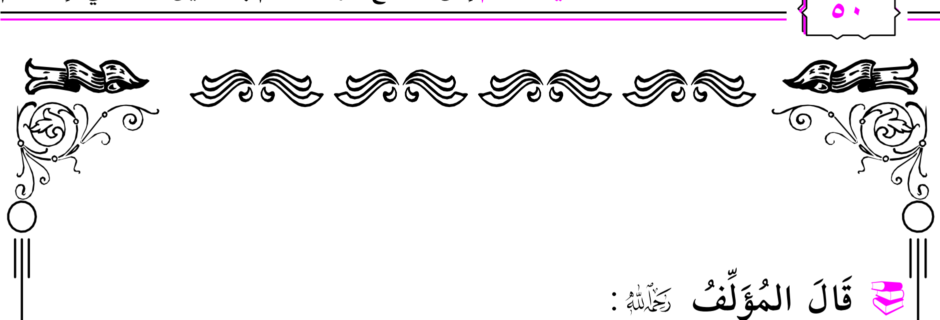
وأما الذين لا يعرفون معناها من **أهل البدع والصوفية وغيرهم** وقدَّروا الخبر بقولهم «خالق»، **وقالوا**: معنى «لا إله إلَّا الله»: لا خالق إلَّا الله، فهذا **باطل**؛ فإن مشركي العرب كانوا مُقِرِّين بأن الله وحده خالق كلِّ شيء ومع هذا كانوا مشركين[(١)]، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يُونس: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العَنكبوت: ٦١]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، فكانوا مُقِرِّين بتوحيد الربوبية ولم يكفهم لدخول الإسلام، بل لا بُدَّ من توحيد الألوهية، وكذلك لا يكفي أن يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته وبربوبيته حتى يضيف إليه توحيد العبادة والألوهية ويخصَّ الله بالعبادة ويُفْرِدَهُ بها.

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٢٢٦).

○ قوله: «**أما مَنْ يهذي بها**» أي: بـ«لا إله إلَّا الله» «**هذيانًا ككلام النائم لا يعلم معناها**» فلا تنفعه، فَمَنْ قالها بلسانه فقط كحروف يلوكها بلسانه فهذه لا تنفعه «**فكيف ينفي ما نفتْ ويُثْبِتُ ما أثبتت وهو لا يعلم شيئًا من ذلك؟!، أم كيف يعمل بمقتضى ما لا يعلمه؟!**» ومقتضاها ـ كما سيأتي ـ الإتيان بالواجبات التي أوجبها الله مِنْ صلاةٍ وصيام وزكاةٍ وحجٍّ وبرِّ الوالدين وصلةِ الرحم وتركُ المحرَّمات كالزِّناً والسرقة وشرب الخمر والعدوان على الناس في أموالهم ودمائهم وأعراضهم، فَمَنْ لا يعلم معناها لن ينفي ما نفتْ ولن يُثْبِتَ ما أثبتت ولن يعمل بمقتضاها فهي لا تُفِيده ولا يكون مُوحِّدًا.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«الثاني: اليقين بما دلت عليه في الشَّهادة والغيب المنافي لمناقضه مِنَ الشَّكِّ والرَّيب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] فَقَصَرَ الإيمان عليهم مع التقييد بكونهم ﴿لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ أي: لم يَشُكُّوا، فلا إيمان لمن قالها شاكًّا مُرْتابًا ولو قالها بعدد الأنفاس، ولو صرخ بها حتى يُسْمِعَ جميع الناس.

وفي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلَّا دخل الجنة»، وفيه من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ بعثه بنعليه فقال: «اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلَّا الله مستيقِنًا بها قلبُهُ فبشِّرْهُ بالجنة،...» الحديث، فقيَّدَ استحقاق قائلها دخول الجنة وتبشيره بها بكونه غير شاكٍّ فيها وبكونه مُستيقِنًا بها قلبه، والمعنى في ذلك واحد، فنفي الشكِّ يُفِيد ثبوت اليقين، وثبوت اليقين يُفِيد نفي الشَّكِّ».

الشَّرْح

الشرط «الثاني» من شروطها: «اليقين بما دلت عليه» مِنْ أن العبادة حقٌّ لله تعالى لا يستحقها غيره «في الشَّهادة» يعني: حال ما شهدنا وشهدناه «والغيب» ما غاب عنا وغبنا عنه فلم نشهده «المنافي

لمناقضه مِنَ الشَّكِّ والرَّيب» فلا يرتاب قائلها شكٌّ في ذلك.

إذًا **الشرط الثاني**: هو اليقين المنافي للشَّكِّ والرَّيب، فَمَنَ قال: «لا إله إلَّا الله» عن شكٍّ وريب كما لو قالها المشرك أو المنافق لا تصح منه، أو المرتابُ الشاكُّ مترددًا يقول: «لا أدري هل يستحق العبادة مع الله أحد غيره؟، أو لا أدري هل ينبغي أن تكون العبادة خالصة لله؟، أو لا أدري هل الدعاء خاصٌّ بالله أم يمكن أن ندعوه وندعو الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام أو صاحب القبر أو فلانًا ؟» فهو متردد، فهذا يبطل هذه الكلمة؛ فلا بُدَّ من اليقين المنافي للشَّكِّ والرَّيب.

والدليل على هذا الشرط من الكتاب: «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: ١٥]» يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا: «آمنا» ولَمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم: إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدَّقُوا الله ورسوله ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ يقول: ثم لم يشُكُّوا في وحدانية الله ولا في نبوة نبيه ﷺ وألزم نفسه طاعةَ الله وطاعةَ رسوله والعملَ بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكٍّ منه في وجوب ذلك عليه ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ يقول: وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم وبذل مُهَجِهم في جهادهم على ما أمره الله به من جهادهم وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وقوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم «إنا مؤمنون» لا مَنْ دخل في المِلَّةِ خوف السيف ليحقن دمه وماله[(١)].

(١) «تفسير الطبري» (٢٦/ ١٤٤).

○ قوله: «**فَقَصَرَ الإيمان عليهم مع التقييد بكونهم ﴿لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي: لم يَشُكُّوا**» والحصر جاء في قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾، والمعنى: أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يَشُكُّوا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم هم الصادقون في إيمانهم وتوحيدهم دون غيرهم، فدلَّ على أن مَنْ كان عنده شكٌّ أو ريب فليس صادقًا في إيمانه وليس بمؤمن حقًّا.

○ قوله: «**فلا إيمان لمن قالها**» أي: كلمة التوحيد «**شاكًّا مُرْتابًا ولو قالها بعدد الأنفاس**» أي: ولو كرر كلمة «لا إله إلَّا الله» بعدد الرِّيح تدخل وتخرج مِنْ أنف الحي ذي الرئة وفمه حال التَّنَفُّسِ، فلو قالها بعدد الأنفاس عن شكٍ وريب لم تفيده، وإذا قالها عن يقين وصدق فإنه من أهل الجنة، ولا إيمان لمن قالها شاكًّا مُرْتابًا «**ولو صرخ بها حتى يُسْمِعَ جميع الناس**».

والدليل على هذا الشرط من السنة: قوله: «**وفي مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلَّا دخل الجنة»**» فأخبر النبي ﷺ بأن مَنْ شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ولقي الله بهما غير شاكٍّ ـ وهذا شرط ـ فإنه يدخل الجنة، فإن لقي الله بهما شاكًّا فلا يدخلها.

○ قوله: «**وفيه[2] من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ بعثه بنعليه فقال: «اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلَّا الله مستيقِنًا بها قلبُهُ فبشِّرْهُ بالجنة،...» الحديث**» والشاهد فيه:

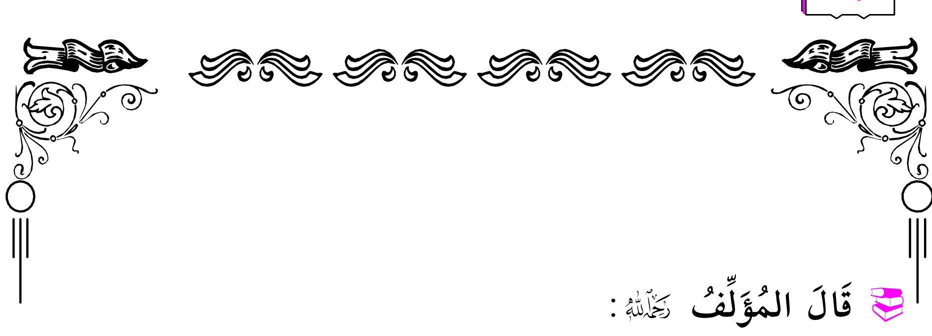
---

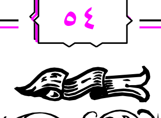
(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣١).

«**مستيقِنًا بها قلبه**»، فلا بُدَّ من اليقين بما دلت عليه «**فقيَّدَ استحقاق قائلها دخول الجنة وتبشيره بها بكونه غير شاكٍّ فيها**» أي: في شهادةِ «أن لا إله إلَّا الله» «**وبكونه مُستيقِنًا بها قلبُهُ، والمعنى في ذلك واحد**» فالشَّاكُ لا يكون مستيقِنًا والمستيقِنُ لا يكون شاكًّا «**فنفي الشكِّ يُفِيد ثبوت اليقين، وثبوت اليقين يُفِيد نفي الشَّكِّ**».







قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الثالث: القبول لها المنافي لرَدِّ مدلولها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السَّجدَة: ١٥]، والآيات هنا المراد بها القرآن، ومعظمه في حقِّ هذه الكلمة، و﴿ذُكِّرُواْ﴾ وُعِظُوا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ أي: عن الإيمان بالله وطاعته، وذلك هو حقيقة التَّأَلُّهِ المنفي عن سوى الله بـ«لا إله» المُثْبَتُ له سبحانه بـ«إلَّا الله»، ولا ردَّ أعظم من الاستكبار، ولهذا قال تعالى في حقِّ مَنْ رَدَّهَا بعد أن ذُكِّرَ ما وعدهم به من العذاب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٦]، فلم يتركوا آلهتهم المنفية بـ«لا إله» ولم يقبلوا إثبات «إلَّا الله»، فقال تعالى تكذيبًا لهم وتصديقًا لنبيه ﷺ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصَّافات: ٣٧].

وفي «الصحيح» عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهُدَى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشْبَ الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسَقَوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ

وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ به»، فانظر هذا الحديث واعتبر به فهو عبرة لأولي الأبصار؛ فإنك إذا أمعنتَ النظر فيه رأيته يحتوي على ما لم يتسعْ له المجلدات الكبار، والمقصود هنا: أن المَثَلَيْنِ الأولين لمن قَبِلَ هُدَى الله ـ الذي هذه الكلمة أصله ـ وإن كانوا على درجتين متفاوتين، والمَثَلُ الثالث لمن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبله فلم ينتفع هو ولم ينفع غيره، بل هو ضرر محضٌّ على نفسه وعلى غيره».

الشَّرْحُ

الشرط **«الثالث»** من شروطها: **«القبول لها المنافي لرَدِّ مدلولها»** ومدلولها دلَّ على نفي العبادة عن غير الله وإثباتها له عزَّ وجلَّ، فيقبل المسلم ما دلت عليه ولا يرده، فإن ردَّ مدلولها يكون مستكبرًا، والمستكبر كافر.

أقسام الناس ثلاثة: مسلمٌ ومشركٌ ومستكبرٌ، **فالمسلم** الذي وحَّدَ الله واستسلم له دون غيره، **والمشرك** الذي استسلم لله ولغيره، فهو يعبد الله ويعبد معه غيره، **والمستكبر** الذي استكبر عن عبادة الله فلا يعبده فهذا كافر، **فالمشرك والمستكبر** كافران في النار، **والمسلم** المستسلم الموحِّدُ في الجنة.

الذي لا يقبل ما دلت عليه كلمة التوحيد يكون مستكبرًا عن عبادة الله وكافرًا، وقد كان كفر **إبليس وفرعون واليهود** بالاستكبار، فالكفر يكون أحيانًا بالجحود فيجحد حقَّ الله ويُنْكِرُهُ، وأحيانًا يُقِرُّ ويعترف به لكنه يستكبر عن عبادة الله فلا يعبده مثل **كفر إبليس** فقد عارض أمر الله بالاستكبار، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ

لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، فلم يعارض إبليس أمر الله بالجحود بل بالاستكبار مع التصديق، وأحيانًا يكون بالشَّكِّ والظَّنِّ، ويكون بالنفاق.

والدليل على هذا الشرط من الكتاب ما ذكره بقوله: «**قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾** [السجدة: ١٥]» أي: عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة[(١)].

○ قوله: «**والآيات هنا**» أي: في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ «**المراد بها القرآن، ومعظمه في حقِّ هذه الكلمة**» بل القرآن كُلُّهُ في التوحيد وحقوقه، إما في بيان التوحيد وأنه حقُّ الله، أو في بيان حقوق التوحيد وهي الأعمال التي أوجبها الله، أو في بيان جزاء أهل التوحيد وثوابهم عند الله ﷻ، أو في بيان ما ينافي هذه الكلمة مِنَ الشِّرك والمعاصي، أو في بيان جزاء أعداء الله الذين استكبروا ولم يقبلوا ما دلت عليه هذه الكلمة، فالقرآن كُلُّهُ في التوحيد وحقوقه وجزاء أهله وفي الشِّرك الذي ينافي التوحيد وعقوبة أهله وجزائهم «**و﴿ذُكِّرُواْ﴾ وُعِظُوا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ أي**»: لا يستكبر المؤمنون «**عن الإيمان بالله وطاعته، وذلك هو حقيقة التَّأَلُّهِ**» أي: التَّعبُّدِ «**المنفي عن سوى الله بـ«لا إله»**» فهي تنفي التَّعبُّدَ لغير الله «**المُثْبَتُ له سبحانه بـ«إلَّا الله»**» فتقول: «لا إله» فتنفي التَّعبُّدَ والتَّأَلُّهَ لغير الله، وتُثْبِتُهما له ﷻ بقولك «إلَّا الله».

○ قوله: «**ولا ردَّ أعظم من الاستكبار**» **فالمستكبر** يرد مدلولَ هذه الكلمة ـ وهو نفي التَّأَلُّهِ عن غير الله وإثباتها له ـ فيكون كافرًا،

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٦٣).

ولا ردَّ أعظم منه؛ «**ولهذا قال تعالى في حقِّ مَنْ رَدَّهَا بعد أن ذكَّرَ ما وعدهم به من العذاب:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]»، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: يستكبرون عنها وعلى من جاء بها ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ أي: أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون، يعنون: رسول الله ﷺ؟![1] «**فلم يتركوا آلهتهم المنفية بـ«لا إله»، ولم يقبلوا إثبات «إلَّا الله»**» فصاروا مستكبرين «**فقال تعالى تكذيبًا لهم وتصديقًا لنبيه ﷺ:** ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٧]» وهذا خبرٌ من الله مُكذِّب للمشركين الذين قالوا للنبي ﷺ: «شاعر مجنون»، أنهم كذَبوا، إذ ما محمدٌ كما وصفوه به مِنْ أنه شاعر مجنون، ﴿جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ من عنده وهو القرآن الذي أنزله عليه ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٧] الذين كانوا من قبله[2].

وقال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٥]، يقول تعالى ذكره: وإذا أُفْرِدَ الله جلَّ ثناؤه بالذكر فَدُعِيَ وحده وقيل: «لا إله إلَّا الله» اشمأزَّت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات، وَعَنَى بقوله ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾: نفرت من توحيد الله، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من الأصنام والأنداد، ودعا الداعي إلى عبادتها ومدحها ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦، ٧)، و«تفسير السعدي» (ص٧٠٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥١).

بذلك، فرحا بذكر معبوداتهم، ولكون الشرك موافقا لأهوائهم، وهذه الحال أشر الحالات وأشنعها[(١)] ـ نسال الله السَّلامة والعافية ـ.

○ قوله: «وفي «الصحيح»[(٢)] عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهُدَى والعلم» الهُدَى أي: الدلالة الموصِّلة إلى المطلوب، **والعلم** المراد به معرفة الأدلة الشرعية[(٣)] «كمثل الغيث» أي: المطر «الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشْبَ الكثير، وكان منها أجادب» وهي الأرض التي لا تُنْبِتُ الكلأ، لكنها تمسك الماء للناس «أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسَقَوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّمَ ومَثَلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ به»».

هذا حديث عظيم؛ ضَرَبَ اللهُ فيه المَثَلَ، والأمثال تُقَرِّبُ المعنى، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العَنكبوت: ٤٣] أي: لا يفهمها ويتدبَّرَها إلَّا الراسخون في العلم الْمُتَضَلِّعُونَ منه، وعن عمرو بن مُرَّةَ قال: «إني لَأَمُرُّ بالمثل من كتاب الله ﷻ ولا أعرفه فَأَغْتَمُّ به؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾»[(٤)]، وقد أكثر الله تعالى والنبيُّ ﷺ مِنْ ضرب الأمثال.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٠)، و«تفسير السعدي» (ص٧٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «فضل من عَلِمَ وعَلَّمَ»، رقم (٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٨٢).

(٣) «فتح الباري» (١/ ١٧٦).

(٤) أخرجه القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (١/ ٧١) .

وفي هذا الحديث ضرب الرسول ﷺ مثلًا للمؤمنين ومثلًا لغيرهم، وذكر أن المؤمنين صنفان، وغير المؤمنين طائفة واحدة.

قال ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهُدَى والعلم**» هذا الدين ـ الذي له ثلاث مراتب، الإيمان والإسلام والإحسان ـ الذي جاء به النبي ﷺ والعلم المأخوذ من الوحيين كتابِ الله وسنة رسوله ﷺ مَثَّلَهُ النبي ﷺ بالمطر الكثير قال: «**كمثل الغيث الكثير**» الذي يغيث الله به البلاد والعباد ويُحْيِي به الأرض بعد موتها، فالدين والعلم الذي جاء به النبي ﷺ من الوحيين مثل الغيث الكثير، والتشابه بينهما: أن الغيث تحيا به أجساد الناس فيزرعون ويسقون، وتحيا به أبدان الحيوانات، وكذا الوحيان يحيي الله بهما قلوب الناس، فهذا يحيي الله به الأبدان وهذا يحيي الله به القلوب.

قال: «**أصاب أرضًا**» وهذه الأرض ثلاثة أقسام:

الأول: «**فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشْبَ الكثير**» فتحيا به أبدان الناس والبهائم.

الثانية: «**وكان منها أجادب أمسكت الماء**» فهي لا تُنْبِتُ الكلأ والعشب ولكنها تُمْسِكُ الماء فيبقى على ظهرها مُدَّةً «**فنفع الله به الناس فشربوا وسَقَوا وزرعوا**» وتشرب منه الدواب، فالكُلُّ يستفيد منه.

الثالثة: «**وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كلأً**» فلا تُخْرِجُ هذه الأرض كلأً ولا عشبًا ولا تُمْسِكُ الماء حتى يستفيد منه الناس بل يذهب في باطن الأرض.

قال ﷺ عن المثلين الأوَّلين ـ **الطائفة الأولى** التي أنبتت الكلأ والعشب الكثير وهذه تُمثِّلُ العلماء والفقهاء الذين حفظوا كتاب الله

وسنة نبيه ﷺ وتفقَّهُوا في معانيهما وفجروا ينابيعهما وأخرجوا الفوائد وما دلت عليه هذه النصوص من الحكم والأسرار والمعاني والأحكام ونشروه فاستفاد الناس، **والطائفة الثانية** التي أمسكت تُمِثّلُ المحدِّثين الذين حفظوا الأحاديث وضبطوها وسهروا ليلهم في فهم الأحاديث وضبطها، لكن ليس لديهم من الفقه والبصيرة ما يستطيعون به شرح هذه الأحاديث وفهم معانيها واستخراج أحكامها، لكنهم حفظوها وأوصلوها إلى مَنْ بعدهم، وقد يستفيد مَنْ بعدهم منها أكثر منهم، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ؛ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»[(١)] ـ: «**فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّمَ**».

وقال ﷺ عن المثل الأخير ـ **الطائفة الثالثة** التي لم تقبل هُدى الله ولم تنتفع بالوحي فلم يفد نفسه ولا غيره ـ: «**ومَثَلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ به**».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «شَبَّهَ العلم والهُدى الذي جاء به بالغيث؛ لما يحصل بكلٍّ واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد فإنها بالعلم والمطر، وشَبَّهَ القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر؛ لأنها المحل الذي يُمْسِكُ الماء فيُنْبِتُ سائر أنواع النبات النافع كما أن القلوب تعي العلم فيثمر فيها ويزكو وتظهر بركته وثمرته، ثم قَسَّمَ الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب «فضل نشر العلم»، رقم (٣٦٦٠)، والترمذي، كتاب العلم، باب «ما جاء في الحث على تبليغ السماع»، رقم (٢٦٥٦)، وابن ماجه، المقدمة، باب «من بلَّغ علمًا»، رقم (٢٣٠)، وأحمد (٥/ ١٨٣).
قال الترمذي: «حديث حسن».

قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حكمه وفوائده:

القسم الأول: أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الأحكام والحكم والفوائد منه فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء وهذا بمنزلة الحفظ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستنباط فإنه بمنزلة انبات الكلأ والعشب بالماء، فهذا مثل الحُفَّاظ الفقهاء أهل الرِّواية والدِّراية.

القسم الثاني: أهل الحفظ الذين رُزِقُوا حفظه ونقله وضبطه ولم يُرْزقوا تفقُّهًا في معانيه ولا استنباطًا ولا استخراجًا لوجوه الحكم والفوائد منه، فهم بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وإعرابه ولم يُرْزق فيه فهمًا خاصًّا عن الله كما قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: «إلَّا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه»[1].

والناس متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظم تفاوت، فُربَّ شخص يفهم من النصِّ حكمًا أو حكمين ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فانتفعوا به، هذا يشرب منه وهذا يسقى وهذا يزرع، فهؤلاء القسمان هم السُّعداء، والأولون أرفع درجة وأعلى قدرًا، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

القسم الثالث: الذين لا نصيب لهم منه لا حفظًا ولا فهمًا ولا رواية ولا دراية، بل هم بمنزلة الأرض التي هي قيعان لا تُنْبِتُ ولا تُمْسِكُ الماء، وهؤلاء هم الأشقياء.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، كتابة العلم، رقم (١١١).

والقسمان الأولان اشتركا في العلم والتعليم كلٌّ بحسب ما قَبِلَهُ ووصل إليه، فهذا يعلم ألفاظ القرآن ويحفظها، وهذا يعلم معانيه وأحكامه وعلومه، **والقسم الثالث** لا علم ولا تعليم، فهم الذين لم يرفعوا بِهُدَى الله رأسًا ولم يقبلوه، وهؤلاء شرٌّ من الأنعام، وهم وقود النار.

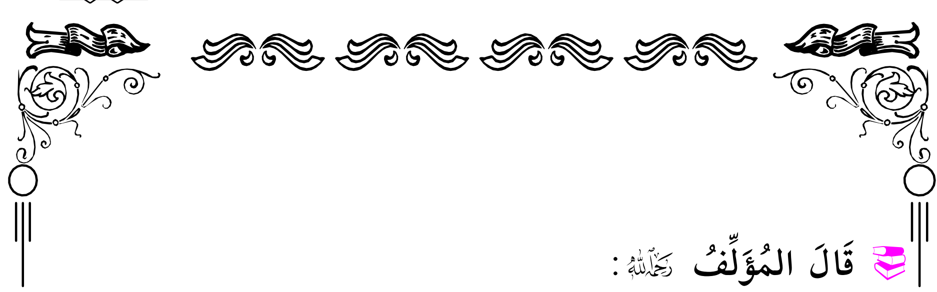
فقد اشتمل هذا الحديث الشريف العظيم على التنبيه على شرف العلم والتعليم وعظم موقعه وشقاء مَنْ ليس مِنْ أهله، وذكر أقسام بني آدم بالنسبة فيه إلى شقيهم وسعيدهم، وتقسيم سعيدهم إلى سابق مُقرَّبٍ وصاحب يمين مقتصد»[1].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعليقًا على هذا الحديث: «**فانظر هذا الحديث واعتبر به فهو عبرة لأولي الأبصار؛ فإنك إذا أمعنتَ النظر فيه رأيته يحتوي على ما لم يتسعْ له المجلدات الكبار، والمقصود هنا: أن المَثَلَيْنِ الأولين لمن قَبِلَ هُدَى الله ـ الذي هذه الكلمة**» وهي كلمة «لا إله إلَّا الله» «**أصله ـ وإن كانوا على درجتين متفاوتتين، والمَثَلُ الثالث لمن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبله فلم ينتفع هو ولم ينفع غيره، بل هو ضرر محضٌّ على نفسه وعلى غيره**».



(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٠، ٦١).





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الرابع: الانقياد لمعناها المنافي لترك العمل بمقتضاها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ الآية [لقمان: ٢٢]**، ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ينقاد ويُقْبِلُ على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: مُوحِّدٌ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: بـ«لا إله إلَّا الله»، فخرج بذلك مَنْ لم يُسْلِمْ وجهه إلى الله ولم يكُ محسنًا فإنه لم يستمسك بها، وهو المعنيُّ بقوله تعالى بعد ذلك ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾** [لقمان: ٢٣-٢٤].

وفي «الأربعين» أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»، فجعل الشَّرط في الإيمان كمالَ الانقياد لما جاء به ﷺ، ونفاه عمن لم يكن كذلك، ومعلوم أنه ﷺ لم يجئ يدعو إلى شيء قبل هذه الكلمة، فَمَنْ لم ينقدْ لمدلولها لم ينقدْ لشيء مما جاء به الرسول ﷺ».

الشَّرْحُ

الشرط **«الرابع»** من شروطها: **«الانقياد لمعناها المنافي لترك العمل بمقتضاها»** تنقاد لحقوق هذه الكلمة مِنْ أداء الواجبات كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وبرِّ الوالدين، وصِلَة الأرحام، وتركِ المحرَّمات كالشِّرك وهو أعظمها وأغلظها، وقتلِ

النفس التي حَرَّمَ الله إلَّا بالحقِّ، والعدوان على الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم، وهذا الانقياد لمعناها ينافي ترك العمل بمقتضاها.

والدليل على هذا الشرط من الكتاب: «**قال الله تعالى**: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ الآية [لقمان: ٢٢]، ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ينقاد ويُقْبِلُ على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: مُوحِّدٌ» **والأقرب والصواب** أن معنى ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ومَنْ يُخْلِصْ عمله لله، فإسلام الوجه لله هو إخلاص العمل له ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: هو فعل ما أُمِرَ به فيه[1] على المتابعة للنبي ﷺ «﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: بـ«كلمة التوحيد» وهي «**لا إله إلَّا الله**»»، مَنْ قال هذه الكلمة وأتى بحقوقها ولم يترك العمل بمقتضاها من الإخلاص والمتابعة فهذا هو المحسن الذي استمسك بالعروة الوثقى.

○ قوله: «**فخرج بذلك مَنْ لم يُسْلِمْ وجهه إلى الله ولم يَكُ محسنًا فإنه لم يستمسك بها**» أي: بالعروة الوثقى، بل يكون كافرًا.

○ قوله: «**وهو المعنيُّ بقوله تعالى بعد ذلك** ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ [لقمان: ٢٣-٢٤]» يعني: الكفرة، و﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ يعني: نمهلهم في الدنيا فيأكلون ويشربون، بل قد يُغْدِقُ الله عليهم النِّعَمَ فيعطيهم الأموال والأولاد ويُمكِّنُهم من الاختراعات الحديثة ويكون هذا إمهالاً لهم ثم يأخذهم على غِرَّةٍ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٥١).

بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤]، فالله تعالى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ، وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ** ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾»[1] - نسأل الله السَّلامة والعافية - «﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٣- ٢٤]» وذلك عذاب النار - نعوذ بالله منها ومِنْ كلِّ عمل يُقرِّب منها - كما قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٧٠].

○ قوله: «**و**» من أدلة السنة على هذا الشِّرط: «**في «الأربعين»**» يعني: «الأربعين النووية»[2] للإمام النووي رحمه الله «**أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**[3]» وهذا الحديث ضعيف عند **أهل العلم**[4]، **ولكن معناه صحيح؛ دلت عليه النصوص الأخرى، فقد يُقال: «إن الأحاديث الأخرى تشهد له وتكون جابرةً لضعفه»**.

والمعنى: لا يؤمن العبدُ الإيمانَ الكاملَ حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به النبي ﷺ، فقوله «**لا يؤمن**» يعني: الإيمان الكامل مثل

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٥).
(٢) الحديث الحادي والأربعون، (ص ١١٣).
(٣) أخرجه الطوسي في «الأربعين» رقم (٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
وقال النووي: «حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح». «الأربعون النووية» (ص ١١٣).
(٤) قال ابن رجب: «تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوه»، وذكر فيه ثلاث علل. انظر: «جامع العلوم والحكم» (٣٨٧، ٣٨٨).

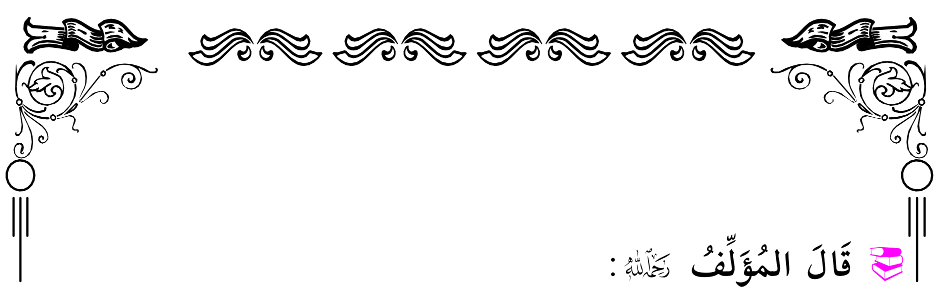
قوله عليه الصَّلاة والسَّلام كما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَنَس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، معناه: لا يؤمن الإيمان التام، وإلَّا فأصل الايمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة[(٢)].

○ قوله: «**فجعل الشَّرط في الإيمان**» الكاملِ «**كمالَ الانقياد لما جاء به ﷺ**»، فإن انقاد لبعض ما جاء به الرسول ﷺ ولم ينقد للبعض الآخر ـ ولم يكن هذا الذي لم ينقد له مُكفِّرًا ـ فإنَّ إيمانه ضعيف «**ونفاه**» أي: الإيمانَ الكاملَ «**عمن لم يكن كذلك، ومعلوم أنه** لم يجئ يدعو إلى شيء قبل هذه الكلمة» وهي كلمة التوحيد «لا إله إلَّا الله» «**فَمَنْ لم ينقدْ لمدلولها لم ينقدْ لشيء مما جاء به الرسول ﷺ**».



(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، رقم (١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٤٥).

(٢) انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم» (٢/ ١٦).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الخامس: إخلاص الدين لله عَزَّ وَجَلَّ المنافي للشِّرك الذي لا يُقْبَلُ معه، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢﴾ [الزُّمَر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ۝١٤﴾ [الزُّمَر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنَة: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾ الآية [النِّساء: ١٤٥-١٤٦]، فجعل تعالى شرطَ كونهم مع المؤمنين أن يُخْلِصُوا دينهم لله، فَمَنْ قالها ظاهرًا ولم يَكُ مُخْلِصًا فليس هو مع المؤمنين بل هو مع المنافقين الذين هم في الدَّرْكِ الأسفل من النار.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومَنْ مات يشرك بالله شيئًا دخل النار» رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود وجابر وغيرهما، ولما قال له أبو هريرة: «مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟»، قال: «مَنْ قال: «لا إله إلَّا الله» خالصًا من قلبه»، وهذا مما لا يحتمل التأويل ولا يحتاج إلى تفصيل».



الشرط «الخامس» من شروطها: «إخلاص الدين لله عَزَّ وَجَلَّ» يعني:

تنقية التوحيد وتخليصه مِنَ الشِّرك، فإن كان فيه شرك انتقضت هذه الكلمة وبطلت، فإذا قال المسلم: «لا إله إلَّا الله» عن إخلاص وتوحيد بأن وَحَّدَ الله في الصلاة والصيام والدعاء والذبح والنذر والطواف وغيرها من العبادات فهذا هو الموحِّدُ المخلصُ في توحيده، وإن قالها وفعل مِنَ الشِّرك ما ينقضها فركع أو سجد لغير الله، أو دعا غير الله، أو ذبح أو نذر لغيره، أو طاف بغير بيت الله تقرُّبًا لذلك الغير، فإنه بذلك يكون مشركًا.

لا بُدَّ أن يقول «لا إله إلَّا الله» عن إخلاص ولا يقع في عمله شرك؛ فمن شروطها: «**إخلاص الدين لله ﷻ المنافي للشِّرك الذي لا يُقْبَلُ معه**» أي: لا يقبل التوحيد معه.

ومن الأدلة على هذا الشرط من الكتاب: «**قال الله تعالى:** ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]» أي: لا يقبل من العمل إلَّا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له، فإن لم يكن خالصًا بل معه شرك فلا يكون لله بل يكون لغيره.

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزُّمَر: ٢]، **وقال تعالى:** ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزُّمَر: ١٤]» فعلى العبد أن يعبد الله مخلصا له الدين ويدعوه مخلصا له لا يسقط هذا عنه بحال ولا يدخل الجنة إلا أهل التوحيد وهم أهل «لا إله إلا الله». فهذا حق الله على كل عبد من عباده، وكل من لم يعبد الله مخلصاً له الدين، فلابد أن يكون مشركاً عابداً لغير الله[(١)].

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البَيِّنَة: ٥]» وقوله

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٤/ ٢٨٤، ٤٧٦).

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ولهذا قال: ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: مُتَحنِّفين عن الشِّرك إلى التوحيد كقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ أي: الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة[١].

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ الآية [النِّساء: ١٤٥-١٤٦]» المنافقون لا يقولون هذه الكلمة عن صدق، ويقولها المؤمنون عن صدق ينافي الكذب، ويأتي **الشرط السادس: الصِّدق المنافي للكذب.**

وأتى **المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الآية من أجل قوله تعالى ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ أي: قصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسَلِمُوا مِنَ الرِّياء والنفاق «**فجعل تعالى شرطَ كونهم مع المؤمنين**» في قوله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النِّساء: ١٤٦] «**أن يُخْلِصُوا دينهم لله، فَمَنْ قالها ظاهرًا ولم يَكُ مُخْلِصًا فليس هو مع المؤمنين**» مَنْ قال: «لا إله إلَّا الله» ظاهرًا بلسانه ولم يكن مخلصًا فيها بل وقع في عمله شرك فليس هو مع المؤمنين «**بل هو مع المنافقين الذين هم في الدَّرْكِ الأسفل من النار**».

وينبغي أن يكون الاستدلال بهذه الآية في **الشرط السادس؛**

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٥٧).

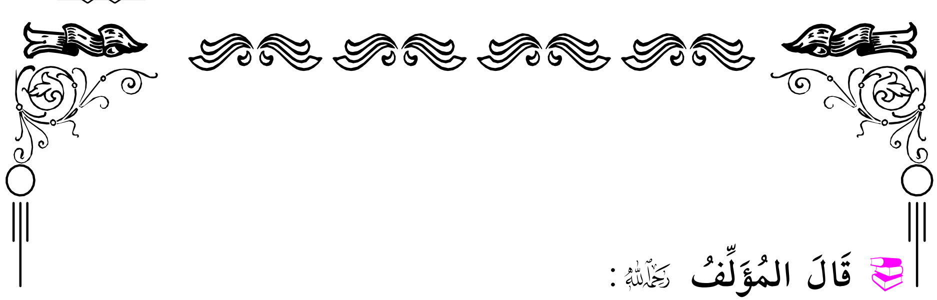
وهذا هو **الشرط الخامس** وهو **إخلاص الدين لله** ﷻ **المنافي للشِّرك**، **فالمشرك** لا يقولها عن إخلاص، أما **المنافق** فيقولها عن كذب لا عن صدق.

○ قوله: **«و»** من أدلة السنة على هذا الشِّرط: **«قال رسول الله** ﷺ: **«مَنْ مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومَنْ مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»** رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود(١) وجابر(٢) وغيرهما(٣)».

○ قوله: **«ولما قال له أبو هريرة: «مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟»، قال: «مَنْ قال: «لا إله إلَّا الله» خالصًا من قلبه»»** في «صحيح البخاري»(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**» فَبَيَّنَ أن المخلص لها مِنْ قِبَلِ نفسه هو أسعد بشفاعته ﷺ مِنْ غيره ممن يقولها بلسانه وَتُكَذِّبُهَا أقوالُهُ وأعمالُهُ(٥) **«وهذا مما لا يحتمل التأويل ولا يحتاج إلى تفصيل»**.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «في الجنائز، ومن كان آخر كلامه «لا إله إلا الله»»، رقم (١٢٣٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٩٢).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٩٣).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة»، رقم (٧٤٨٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٩٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «صفة الجنة والنار»، رقم (٦٥٧٠).
(٥) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤١٠).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«السادس: الصِّدق المنافي للكذب، وهو أن يتواطأ على ذلك القلب واللسان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى في كشف ما أضمره المنافقون وهتكِ أستارهم حيث أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨-١٠] فكذَّبَهم الله ﷻ في قولهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٨] بقوله ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ إلى آخر الآية، وذلك لما أطلع الله سبحانه وتعالى على ما في قلوبهم من المرض وأنها لم تواطئ ألسنتهم فهم شرُّ الكفار، ومأواهم الدَّرْكُ الأسفل من النار.

وقد بَيَّنَ الله ﷻ في سورة «التوبة» كثيرًا مِنْ فضائحهم بقوله سبحانه وتعالى «ومنهم» «ومنهم»، وكذا في سورة «النساء»، و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وغيرها يشهد سبحانه إنهم لكاذبون.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ «ما مِنْ أحد يشهد أن «لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله» صدقًا مِنْ قلبه إلَّا حَرَّمَهُ الله على النار» متفق عليه.

وفي حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ يسأل عن أركان

الإسلام ـ التي أعظمها هذه الكلمة ـ لما أخبره النبي ﷺ بذلك قال: «هل عليَّ غيرها؟»، قال: «لا، إلَّا أن تطوع»، قال: «والله لا أزيد عليها ولا أنقص»، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»، فاشترط في فلاحه أن يكون صادقًا فخرج بذلك الكاذب المنافق فإنه لا فلاح له أبدًا، بل له الخيبة والرَّدَى ـ عياذًا بالله من ذلك ـ».

الشَّرْحُ

الشرط **«السادس»** من شروطها: **«الصِّدق المنافي للكذب، وهو أن يتواطأ على ذلك القلب واللسان»** لا بُدَّ أن يتواطأ القلب مع اللسان فينطق اللسان ويُصدِّق القلب، أما إذا كان اللسان ينطق والقلب يُكذِّبُ فهذا هو النفاق، ويكون مانعًا من الإيمان.

الدليل على هذا الشرط من الكتاب: «قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]» قال غير واحد من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وحقيقة صدق من جاء بعدهم باتباعه لهم[(١)].

○ قوله: **«وقال تعالى في كشف ما أضمره المنافقون وهتكِ أستارهم حيث أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨-١٠]»** يقول المنافقون: «لا إله إلَّا الله» عن كذب لا عن صدق؛ فإن ألسنتهم تنطق وقلوبهم تُكذِّبُ، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٠١).

﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البَقَرَة: ٨] يعني: بألسنتهم ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البَقَرَة: ٨] يعني: بقلوبهم، فأثبت الله تعالى لهم الإيمان بالألسنة ونفى عنهم الإيمان بالقلوب.

وليس هذا تناقض؛ لأن الجهة منفكة، وشرط التناقض أن تكون الجهة واحدة فيرد الإثبات والنفي على جهة واحدة، لكن إذا كان الإثبات يرد على جهة والنفي يرد على جهة أخرى فليس تناقضًا، وقد ورد الإثبات للمنافقين على جهة وهي اللسان والنفي على جهة وهي القلب.

وقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البَقَرَة: ١٠] هذا **مرض الشُّبْهَةِ**، فالمرض نوعان: **مرض شهوة** وهي شهوة المعاصي، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزَاب: ٣٢]، فإذا خضعت المرأة بقولها وخنعت بكلامها طمع مريض القلب ـ الذي يريد شهوة الزنا ـ فيها، **ومرض شُبْهَةٍ** وهو أشدُّ.

○ قوله: «**فكذَّبَهُم الله ﷻ في قولهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾** [البَقَرَة: ٨] بقوله ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ **آخر الآية**» كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنَافِقون: ١] أي: إنما يقولون ذلك إذا جاؤوك فقط لا في نفس الأمر، ولهذا يؤكِّدُون في الشهادة بـ«إنَّ» ولام التأكيد في خبرها كما أكَّدوا قولهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وليس الأمر كذلك، كما أكذبهم الله في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنَافِقون: ١] وبقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البَقَرَة: ٨][1]؛

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٤٨).

«وذلك لما أطلع الله ﷻ على ما في قلوبهم من المرض وأنها لم تواطئ ألسنتهم فهم شرُّ الكفار» يعني: المنافقون أشرُّ من الكفار؛ لأن الكفار المشركين في دركة فوقهم **«ومأواهم الدَّرْكُ الأسفل من النار»** فكلُّ دركة سفلى في النار ـ نعوذ بالله ـ أشدُّ عذابًا مِنْ التي فوقها، كما أن الجنة درجات ـ نسأل الله الكريم من فضله ـ كلُّ درجة أعظم نعيمًا مِنْ التي تحتها.

فاليهود والنصارى والمشركون في دركة فوق **المنافقين**؛ لأن **اليهودي والنصراني والمشرك** عدوٌّ لله مكشوف باطنه وظاهره، تعرف أنه كافر فتأخذ حذرك منه، لكن **المنافق** ظاهره الإسلام وباطنه الكفر فهو عدو لدود، يعيش بين المسلمين فيصلي بجوارك ويحج معك وقد يجاهد معك ولكنه يتربص بالمؤمنين الدوائر ويدبِّر لهم المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين فصار ضرره أشدُّ وخطره أعظم؛ لأنه وافق الكافر في الشِّرك وزاد عليه الخداع والإيذاء للمسلمين، فصار عذابه أشدُّ ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

○ قوله: **«وقد بَيَّنَ الله ﷻ في سورة «التوبة» كثيرًا مِنْ فضائحهم»** أي: فضائح المنافقين **«بقوله ﷻ «ومنهم» «ومنهم»»** كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١]، ولم يزل الله يقول في ذكر أوصافهم «ومنهم» «ومنهم» حتى خشي المنافقون أن يُسمِّيهم بأسمائهم.

○ قوله: **«وكذا في سورة «النساء»»** كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ

صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النِّسَاء: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النِّسَاء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٢] «و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنَافِقون: ١]، **وغيرها يشهد سبحانه إنهم لكاذبون»**.

❍ قوله: «و» الدليل من السنة على هذا الشرط: «**في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما مِنْ أحد يشهد أن «لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله» صدقًا مِنْ قلبه إلَّا حَرَّمَهُ الله على النار» متفق عليه**[1]» والشاهد فيه: قوله صلى الله عليه وسلم: «**صدقًا من قلبه**».

❍ قوله: «**وفي حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن أركان الإسلام ـ التي أعظمها هذه الكلمة ـ**» كلمة التوحيد «**لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال: «هل عليَّ غيرها؟»، قال: «لا، إلَّا أن تطوع»، قال: «والله لا أزيد عليها ولا أنقص»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق»**[2]» أي: إن صدق وأدَّى أركان الإسلام فقد أفلح، وهو من أهل الجنة من المقتصدين.

والناس أربع أصناف: ثلاث من المؤمنين، وصنف من الكُفَّار.

الصنف الأول: السَّابِقُون المُقرَّبون، وهم الذين وحَّدوا الله وأخلصوا له العبادة، وأدُّوا الواجبات والفرائض، وتركوا المحرَّمات والكبائر، وكان عندهم نشاط فزادوا في فعل النوافل والمستحبات،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا»، رقم (١٢٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «الزكاة من الإسلام»، رقم (٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

وتركوا المكروهات وفضول المباحات، فهؤلاء درجتهم عالية.

الصنف الثاني: **المقْتَصِدُون**، وهم أصحاب اليمين الذين أدُّوا الواجبات والفرائض، وتركوا المحرَّمات والكبائر، ووقفوا عند هذا الحدِّ فلم يكن عندهم نشاط في فعل النوافل والمستحبات وترك المكروهات وفضول المباحات، فهؤلاء يدخلون الجنة مِنْ أول وهلة **كالسابقين**، إلَّا أن درجتهم أقل منهم.

الصنف الثالث: **الظالمون لأنفسهم**، وهم الذين وحَّدُوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يقع في عملهم شركٌ وماتوا على التوحيد، لكنهم ماتوا على كبائر مِنْ غير توبة، فهذا مات على الزنا مِنْ غير توبة، وهذا على السرقة، وهذا على عقوق الوالدين، وهذا على التعامل بالرِّبا، فهؤلاء ظلموا أنفسهم بالتقصير في بعض الواجبات أو بفعل بعض المحرَّمات.

وهؤلاء على خطر؛ **منهم** مَنْ يُعذَّب في قبره، **ومنهم** مَنْ تعيبه الشدائد وأهوال يوم القيامة، **ومنهم** مَنْ يعذَّب في النار ثم يخرج منها، **ومنهم** مَنْ يستحق دخول النار فيُشْفَعُ فيه، **ومنهم** مَنْ يغفر الله له، وهم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨].

والأصناف الثلاثة ـ **السَّابِقُون المُقرَّبون والمقْتَصِدُون أصحاب اليمين والظالمون لأنفسهم** ـ كلُّهم مؤمنون موحِّدون، اصطفاهم الله تعالى وأورثوهم الكتاب، وكلُّهم مِنْ أهل الجنة، يدخل **السَّابِقُون المُقَرَّبُون والمقْتَصِدُون** الجنةَ مِنْ أول وهلة، **والظالمون لأنفسهم** على خطر، وقال الله تعالى في وصف هؤلاء الثلاث: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

سَابِقٌۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾ [فَاطِر: ٣٢-٣٥]

الصنف الرابع: **الكفار**، ذكرهم الله ﷻ بعد ذكره للأصناف الثلاثة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾﴾ [فَاطِر: ٣٦].

فأهل الجنة ثلاثة أصناف **السَّابقون والمقْتَصِدُون والظالمون لأنفسهم**، وأهل النار هم الكفرة وإن تفاوتوا.

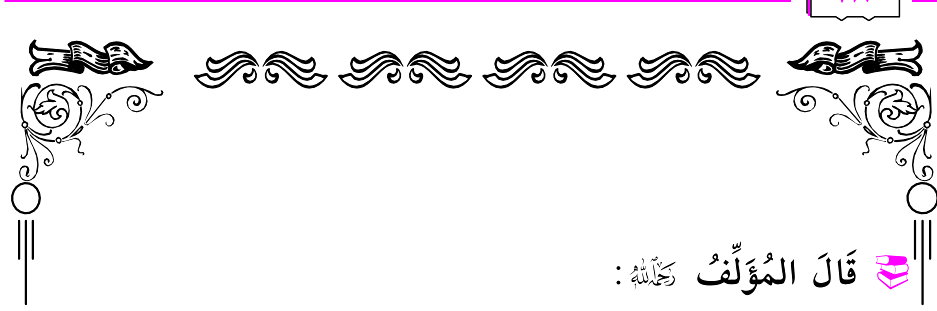
○ قوله: «**فاشترط في فلاحه أن يكون صادقًا**» بقوله ﷺ: «**أفلح إن صدق**» «**فخرج بذلك الكاذب المنافق فإنه لا فلاح له أبدًا، بل له الخيبة والرَّدَى**[1] **ـ عياذًا بالله من ذلك ـ**».

واستدلال **المؤلف** ﵀ بقوله ﷺ «**أفلح إن صدق**» فيما يظهر ـ والله أعلم ـ ليس مناسبًا ذكره في هذا الشِّرط؛ لأن هذا الشِّرط في الصدق المانع من النفاق وقوله ﷺ: «**أفلح إن صدق**» يعني: في أداء ما أوجب الله عليه ولم ينقص منه شيئًا.



(١) الرَّدَى: الهلاك، رَدِيَ ـ بالكسر ـ يَرْدَى رَدًى: هلك. «لسان العرب» لابن منظور (٣١٦/١٤).





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«السابع: المحبة، وهو أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢] فوصف الله سبحانه عباده المؤمنين بأنهم أشدُّ حُبًّا له، وأنهم يحبهم ويحبونه، وأنهم لا يُوادُّون مَنْ حادَّ الله ورسوله ولو كانوا أقربَ قريب، ومِنْ هذا يؤخذ أنه لا يواد المحادِّين إلَّا مَنْ هو متهم في الدين بل هو مِنْ الملحدين كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وفي «الصحيح» عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ المرء لا يحبه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»، وفيه أيضًا عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»».



الشرط «السابع» من شروطها: «المحبة» المنافية للبُغْضِ «وهو

أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله» وهذا إنما يكون لمن وجد حلاوة الإيمان ولذَّتَهُ وطعمَهُ بأن يُحِبَّ ما يحبه الله ورسوله ﷺ مِنْ شخصٍ أو فعلٍ أو قولٍ أو حكمٍ، ويُبْغِضَ ما يبغضه الله ورسوله ﷺ مِنْ شخصٍ أو فعلٍ أو قولٍ أو حكمٍ، ويُحِبَّ في الله ويُبْغِضَ فيه، ويوالي من يواليه الله ويعادي من يعاديه الله.

والدليل على هذا الشرط من الكتاب: «**قال الله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥]» فالذين آمنوا أشد حباً لله من محبة المشركين لله؛ لأن محبة المؤمنين خالصة ومحبة المشركين مشتركة، أو المعنى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة المشركين لآلهتهم.

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ الآية [المَائدة: ٥٤]» هذا هو وصف المؤمنين: يحبون الله ويحبهم الله، فأخبر أن كل من ارتد عن دين الله فلابد أن يأتي الله بدله بمن يقيم دينه المبين[(١)].

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجَادلة: ٢٢]» يعني: لا يجتمع الإيمان بالله واليوم الآخر مع محبة مِنْ حادَّ الله ورسوله ﷺ، إذ لا بُدَّ للمؤمن بالله واليوم الآخر أن يُبْغِضَ مَنْ حادَّ الله ورسوله ولو كان الذين حادُّوا الله ورسوله آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم؛

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٤/ ٣).

فالمؤمن يُبْغِضُ الكافر ولو كان أباه أو أمه بغضًا دينيًا، لكن لا ينافي هذا المحبة الطبيعية والإحسان، فإذا كان للإنسان أبوان كافران فيبغضهما بغضًا دينيًا، ولكن يحبهما محبةً طبيعيةً فيُحْسِنُ إليهما وينفق عليهما ويتلطَّف بهما؛ قال تعالى في حقِّ الوالدين الكافرين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾ [لقمان: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨١] فدلَّ على أن الايمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء وَيُضادُّهُ، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودلَّ ذلك على أن مَنْ اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب مِنْ الايمان بالله والنبي وما أُنْزِلَ إليه(١).

○ قوله: «**فوصف الله سبحانه عباده المؤمنين بأنهم أشدُّ حُبًّا له**» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، «**وأنهم يحبهم ويحبونه**» في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

○ قوله: «**وأنهم لا يُوادُّون مَنْ حادَّ الله ورسوله ولو كانوا أقربَ قريب**» في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ [المجادلة: ٢٢] «**ومِنْ هذا يؤخذ أنه لا يواد المحادِّين إلَّا مَنْ هو متهم في الدين بل هو مِنْ الملحدين كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾**

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧).

[المَائدة: ٥١]» والتولي يعني: المحبة، والمحبة أصلها في القلب وينشأ عنها المساعدة بالمال أو بالرأي أو بالسلاح، ومَنْ تولى الكفار وأحبَّهم لدينهم فهو كافر مثلهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ فأخبر أن مُتَوَلِّيَهُمْ هو منهم.

○ قوله: «وفي «الصحيح»[1] عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوة الإيمان» يعني: لَذَّتَهُ وطعمَهُ:

الأول: «أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما» بأن يُقدِّمَ محبة الله ومحبة رسوله ﷺ على ما سواهما.

الثاني: «وأن يُحِبَّ المرء لا يحبه إلَّا لله» فيُحِبَّ المرء لاستقامته على طاعة الله لا لقرابته أو لصداقته.

الثالث: «وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» فيجد كراهةً ونُفْرَةً مِنْ الكفر كما ينفر مِنْ أن يلقى في النار.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «فهذه الثلاث خصال مِنْ أعلى خصال الإيمان، فمن كَمَّلَهَا فقد وجد حلاوة الإيمان وطَعِمَ طعمَهُ، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم؛ فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلَّا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان إذا سَلِمَ من أسقامه

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «حلاوة الإيمان»، رقم (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٤٣).

وآفاته، فإذا سَلِمَ من مرض الأهواء المضِلَّةِ والشهوات المحرَّمَةِ وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي»[(١)].

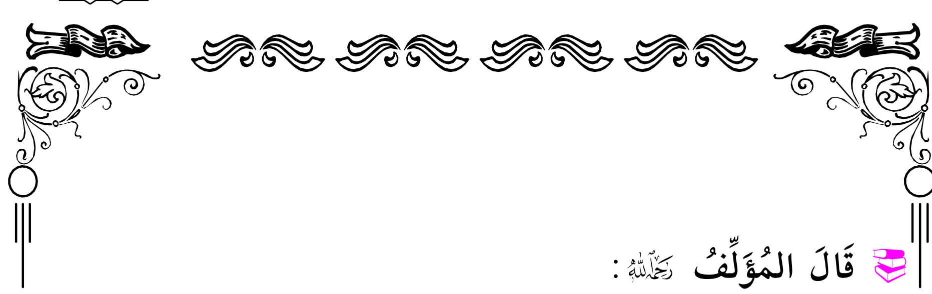
○ قوله: **«وفيه[(٢)] أيضًا عنه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم»** أي: لا يؤمن الإيمانَ الكاملَ **«حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**، فإذا قدَّمَ محبة الولد أو الوالد أو أحدٍ على محبة الله صار ضعيف الإيمان وناقصه، فمن أمره والده بمعصيةٍ فأطاع والده وعصى ربَّهُ كان إيمانه ضعيفًا؛ لأنه قدَّم محبة والده على محبة الله.

ومَنْ لم يحب الله ورسوله ﷺ فهو كافر؛ فالمحبة هي أصل الدين، لكن كمال المحبة أن تُقدِّمَ محبة الله ورسوله ﷺ على محبة الولد والوالد والناس أجمعين، فهذا هو الإيمان الكامل.

فهذه شروط كلمة التوحيد «لا إله إلَّا الله» السبعة، وزاد **بعض العلماء** شرطًا ثامنًا، وهو الكفر بما يُعْبَدُ من دون الله، ودليله: ما ثبت في «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»**.



(١) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (١/ ٤٥).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «حب الرسول ﷺ من الإيمان»، رقم (١٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٤٤).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٣).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ثم اعلم أنه لا يكون مَنْ شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله مؤمنًا حتى يشهد أن محمدًا رسول الله مع التزامه فيها جميع الشروط التي قدَّمناها مع أدلتها من الكتاب والسنة التي قرنت بين هاتين الشهادتين وبين شروطها المذكورة منطوقًا ومفهومًا».

الشَّرْحُ

هذا البحث في تحقيق شهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله، والكلام المتقدِّم في تحقيق شهادة أن لا إله إلَّا الله.

وهاتان الشهادتان هما أصل الدين وأساس المِلَّةِ فتشهد لله تعالى بالوحدانية ولنبيه محمد ﷺ بالرِّسالة، فَمَنْ لم يشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا ﷺ رسول الله لم يدخل في دين الإسلام، فلا يدخل الإنسان الإسلام إلَّا بهما، وبهما يخرج من الدنيا، عَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» دَخَلَ الْجَنَّةَ»**[1].

وليست الشهادتان باللسان فقط، بل باللسان والقلب والجوارح، فينطق بهما بلسانه، ويُصدِّقُهما بقلبه، ويلتزم بمقتضياتهما بجوارحه.

وهاتان الشهادتان هما مفتاح دار السلام وهي الجنة، والشهادة الأولى الشهادة لله تعالى بالوحدانية، وإذا تخلَّفت حلَّ محلها

(١) تقدَّم تخريجه.

الشِّرك، والشهادة الثانية الشهادة لنبيه محمد ﷺ بالرِّسالة، وتقتضي اتباعه ﷺ، وإذا تخلَّفت حلَّ محلها البدع.

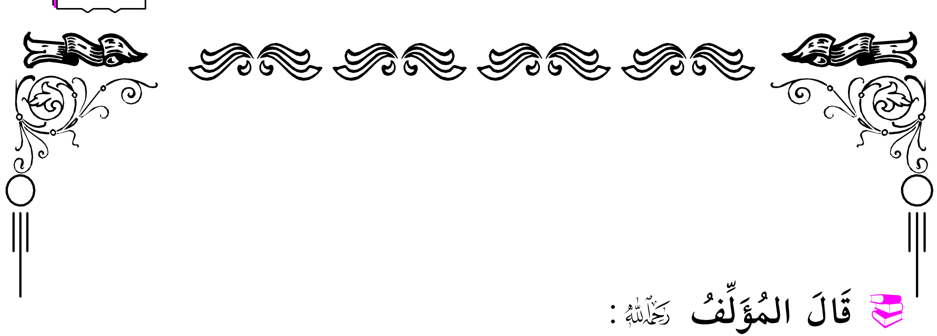
قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ثم اعلم**» يعني: لا تشك ولا تظن، بل اعلم وتيقن واجزم، فالعلم هو اليقين «**أنه لا يكون مَنْ شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله مؤمنًا حتى يشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ**»؛ لأن الشهادتين متلازمتان، ولا تصح إحداهما بدون الأخرى، فمن شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله ولم يشهد أن محمدًا ﷺ رسول الله لم تقبل منه الشهادة الأولى، ومَنْ شَهِدَ أن محمدًا رسول الله ﷺ ولم يشهد أن لا إله إلَّا الله لم تقبل منه الشهادة الثانية؛ فلا تصح إحداهما بدون الأخرى.

وإذا أطلقت إحداهما دخلت فيها الأخرى، فإذا أطلقت شهادة أن لا إله إلَّا الله دخلت فيها شهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله، وإذا أطلقت شهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله دخلت فيها شهادة أن لا إله إلَّا الله، وإذا اجتمعا فُسِّرَتْ الأولى بالشهادة لله تعالى بالوحدانية، والثانية بالشهادة لمحمد ﷺ بالرِّسالة.

○ قوله: «**مع التزامه فيها جميع الشروط التي قدَّمناها**» وهي: العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشكِّ والرَّيب، والقبول المنافي للردِّ، والانقياد المنافي للترك، والإخلاص المنافي للشِّرك، والصِّدق المنافي للكذب، والمحبة المنافية للبغض «**مع أدلتها من الكتاب والسنة التي قرنت بين هاتين الشهادتين وبين شروطها المذكورة منطوقًا ومفهومًا**» فالألفاظ تحمل معانٍ تستفاد تارة مِنْ جهة النطق والتصريح، وهو المنطوق، وتارة مِنْ جهة التعريض والتلويح، وهو المفهوم(١).



(١) انظر: «البحر المحيط» للزركشي (٥/ ١٢١).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ: تصديقه في جميع ما أخبر به عن ربِّهِ ﷻ مِنْ أنباء ما قد سلف وأخبار ما سيأتي وفي ما أحلَّ مِنْ حلالٍ وحَرَّمَ مِنْ حرامٍ تصديقًا جازمًا بيقين صادق لا شكوك تداخله ولا أوهام، والامتثال والانقياد لما أمر به مِنْ شرائع الإسلام، والكفُّ والانتهاء عما نهى عنه مِنْ المحارم والآثام، واتِّباع شريعته، والتزام سنته في السِّرِّ والجهر مع الرضا بما قضاه والاستسلام؛ وذلك لأنا إذا علمنا وتيقنا أنه رسول مِنْ عند الله ﷻ علمنا وتيقنا أن أمره ونهيه وجميع شرعه إنما هو تبليغ منه لما أمر به الله ونهى عنه وشَرَعَهُ، ولهذا قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النِّسَاء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النِّسَاء: ٦٥]، فطاعة الرسول ﷺ هي طاعةُ الله، ومعصيته معصيةُ الله، واتِّباعه هو اتِّباعُ محابِّ الله ومرضاته وموجباتِ مغفرته ورحمته، وتحكيمه هو تحكيمُ ما أنزل الله، وكراهية حكمه كراهيةٌ لحكم الله ﷻ، فهو ﷺ لم يأمر إلَّا بما أمر

الله به، ولم ينه إلَّا عَمَّا نهى الله عنه، ولم يشرع إلَّا ما أمره الله بتبليغه، ولم يحكم إلَّا بما أراد الله ﷻ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فهو ﷺ عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب، بل يُطاع ويُتَّبَعُ».



«ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ»:

الأمر الأول: «تصديقه في جميع ما أخبر به عن ربِّهِ ﷻ مِنْ أنباء ما قد سلف» فَمِنْ شروط شهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله ومن مقتضياتها: أن تُصدِّقَ الرسولَ ﷺ في جميع ما أخبر به عن الله ﷻ من أنباء وأخبار ما قد سلف كخلق السماوات والأرض والنجوم والشمس والقمر وحال الأمم السابقة مع أنبيائها **«وأخبار ما سيأتي»** كأخبار البرزخ، والبعث، والقيامة، والجنة والنار.

○ قوله: **«و»** تُصدِّقَ الرسولَ ﷺ **«في ما أحلَّ مِنْ حلالٍ وحرَّمَ**

مِنْ حرامٍ» فإذا أحلَّ الرسول ﷺ شيئًا تعتقد أنه حلال، وإذا حَرَّمَ شيئًا تعتقد أنه حرام؛ فما أحلَّهُ الرسول ﷺ مثل ما أحلَّهُ الله، وما حَرَّمَ مثل ما حَرَّمَهُ الله؛ لأنه مُبلِّغٌ عن الله تعالى معصومٌ من الخطإ، ولا يتكلَّم بشيء من عند نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النّجم: ٣-٤]، فهو يُبلِّغُ عن الله شرعه ودينه.

○ قوله: **«تصديقًا جازمًا بيقين صادق لا شكوك تداخله ولا أوهام»** يعني: تُصدِّقَ الرسولَ ﷺ تصديقًا جازمًا بيقين لا شكَّ يداخل هذا التصديق ولا أوهام، فلا يكون عندك تردد وارتياب بل يكون عندك يقين جازم بأن الرسول ﷺ صادق في أخباره التي أخبر بها.

○ قوله: «و» **الأمر الثاني**: **«الامتثال والانقياد لما أمر به مِنْ شرائع الإسلام»** بأن تمتثل وتنقاد لما أمر به الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام من شرائع الإسلام، فإذا شرع لنا السِّواكَ عند كلِّ صلاة كما في «الصحيحين»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»** تمتثل هذا الأمر، وتعتقد بأن هذا شَرَعَهُ اللهُ على لسان رسوله ﷺ وتنقاد له.

○ قوله: «و» **الأمر الثالث**: **«الكفُّ والانتهاء عما نهى عنه مِنْ المحارم والآثام»** بأن تَكُفَّ نفسك وتنتهي عما حَرَّمَهُ الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأن ما حَرَّمَه الرسول ﷺ مثل ما حَرَّمَ الله تعالى.

○ قوله: «و» **الأمر الرابع والخامس**: **«اتِّباع شريعته، والتزام سنته في السِّرِّ والجهر»** يعني: تتبع شريعة النبي ﷺ وتلتزم سنته في

---

(١) تقدَّم تخريجه.

سِرِّك وجهرك، مثلًا تأتي بالسواك وتتسوك به ولو أنك تُصلِّي وحدك كما تأتي به وتتسوك أمام الناس، نهاك الرسول ﷺ عن إسبال الثياب كما في «صحيح البخاري»(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «**مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**» فلا تسبل ثوبك وأنت وحدك، فتطيع الرسول ﷺ في السِّرِّ كما أنك تطيعه في الجهر أمام الناس «**مع الرضا بما قضاه والاستسلام**» تلتزم بسنته في السِّرِّ والجهر ـ والالتزام يكون بالجوارح ـ مع الرضا بما قضاه والاستسلام له في الباطن، فيكون عندك رضى وقناعة واستسلام لهذا الأمر الذي شرعه النبي ﷺ.

ولا يتم الإيمان إلَّا بتحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع، فإذا حصل بينك وبين أحد نزاع فلا بدَّ أن تقبل حكم الله وحكم رسوله ﷺ، ولا يكون في نفسك حرج من قضاء الرسول ﷺ وحكمه، بل تقبله بطمأنينة وتُسلِّم تسليمًا كاملًا.

○ قوله: «**وذلك لأنا إذا علمنا وتيقنا أنه رسول مِنْ عند الله عز وجل علمنا وتيقنا أن أمره ونهيه وجميع شرعه إنما هو تبليغ منه لما أمر به الله ونهى عنه وشَرَعَهُ**» يقول رحمه الله: إذا علمنا وتيقنا أن محمدًا ﷺ رسول الله وأنه مُرْسَلٌ مِنْ عند الله وتيقنا ذلك علمنا يقينًا أن محمدًا ﷺ لا يأمر إلَّا بما أمر الله به ولا ينهى إلَّا بما نهى الله عنه؛ لأنه مُبَلِّغٌ عن الله ما أمر به وما نهى عنه وشَرَعَهُ.

وذكر **المؤلف** رحمه الله الأدلةَ في أن طاعة الرسول ﷺ مِنْ طاعة الله وأنه يجب تحكيم الرسول في موارد النزاع، فقال: «**ولهذا قال**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب «ما أسفل من الكعبين فهو في النار»، رقم (٥٧٨٧).

تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠]» يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه مَنْ أطاعه فقد أطاع الله، ومَنْ عصاه فقد عصى الله؛ وما ذاك إلَّا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى، وقوله ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴿٨٠﴾﴾ أي: لا عليك منه؛ إن عليك إلَّا البلاغ، فمن تَبِعَكَ سعد ونجا وكان لك من الأجر نظير ما حصل له، ومَنْ تولَّى عنك خاب وخسر، وليس عليك من أمره شيء[(١)].

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]» قال بعض السلف: «ادَّعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحنة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾»[(٢)]، فمن اتَّبع الرسول ﷺ فهو صادق في دعوى المحبة، ومن لم يتَّبعه ﷺ فهو كاذب في دعواه.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية الكريمة حاكمةٌ على كلِّ مِنَ ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يَتَّبعَ الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله»[(٣)].

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ﴾ [الحشر: ٧]» في هذه الآية أمر بفعل ما أمر به الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام والانتهاء عما نهى عنه؛ فهو ﷺ مُبَلِّغٌ عن الله ومعصوم من الخطإ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٢٩).
(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٢٢).
(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٥٩).

○ قوله: «وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النِّسَاء: ٦٥]» يُقْسِمُ تعالى بنفسه الكريمة المقدَّسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّمَ الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحقُّ الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النِّسَاء: ٦٥] أي: إذا حَكَّمُوكَ يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمتَ به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيُسلِّمُون لذلك تسليمًا كليًّا مِنْ غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة[١].

ففي هذه الآية أقسم الله ﷻ بنفسه الكريمة أنه لا يحصل الإيمان إلَّا بهذه الأمور:

الأول: تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع.

الثاني: إذا حكَّمْتَ الرسول ﷺ في موارد النزاع فعليك أن ترضى بهذا الحكم، ولا يكن في نفسك حرج مِنْ قضائه ﷺ سواء كان الحقُّ لك أو عليك.

الثالث: أن تُسلِّمَ لحكمه ﷺ وتقبله، ويكون عندك طمأنينة في القلب، ولا تستبدل به غيره.

○ قوله: «**فطاعة الرسول ﷺ هي طاعةُ الله، ومعصيته معصيةُ الله**» كما قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ٨٠].

○ قوله: «**واتِّباعه هو اتِّباعُ محابِّ الله ومرضاته**» مَنِ اتَّبع الرسولَ ﷺ فقد اتبع ما يحبه الله ويرضاه «**وموجباتِ مغفرته**

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٢١).

ورحمته»، وهذا من موجبات مغفرة الله ورحمته.

○ قوله: **«وتحكيمه»** يعني: تحكيم الرسول ﷺ **«هو تحكيمُ ما أنزل الله، وكراهية حكمه»** يعني: كراهية حكم الرسول ﷺ **«كراهيةٌ لحكم الله ﷻ»** فَمَنْ كره حكم الرسول ﷺ فقد كره حكم الله تعالى، وكراهية حكم الله محبط للعمل؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمَّد: ٩]، والذي يحبط عمله هو الكافر؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المَائدة: ٥]، فكراهية حكم الرسول ﷺ كراهية لحكم الله تعالى، وكراهية حكم الله رِدَّةٌ عن الإسلام محبطةٌ للعمل ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

○ قوله: **«فهو ﷺ لم يأمر إلَّا بما أمر الله به، ولم ينه إلَّا عَمَّا نهى الله عنه، ولم يشرع إلَّا ما أمره الله بتبليغه، ولم يحكم إلَّا بما أراد الله ﷻ»**؛ لأنه مُبَلِّغٌ عن الله تعالى.

ثم سرد **المؤلف** ﷺ الأدلةَ من كتاب الله تعالى على ذلك، فقال: «**ولهذا قال تعالى**: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الشّورىٰ: ٤٨]» وقوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ يعني: المشركين ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾ أي: لست عليهم بمصيطر، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرّعد: ٤٠]، وقال ههنا: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الشّورىٰ: ٤٨] أي: إنما كَلَّفْنَاكَ أن تُبْلِغَهُمْ رسالة الله إليهم[1].

○ قوله: **«وقال تعالى**: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢١، ١٢٢).

[النُّور: ٥٤]» يقول: وغير واجب على مَنْ أرسله الله إلى قوم برسالة إلَّا أن يُبَلِّغَهُمْ رسالته بلاغًا يُبيِّن لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به(١)، ولفظ الرسول يبين أنه مبلغ عن غيره، فليس من عنده(٢).

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المَائدة: ٩٢]» وقد بلغ النبي ﷺ البلاغ المبين، وأوضح الحجة للمستغفرين، وقد بلغ النبيُّ ﷺ أبين البلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين، فأسعد الخلق وأعظمهم نعيما وأعلاهم درجة: أعظمهم اتباعا وموافقة له علمًا وعملًا(٣).

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النُّور: ٥٤]» ولا يتحقّق إيمان العبد بالرسل، حتى يُصدّق بأنّهم بلّغوا ما أُنزل إليهم من ربّهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حقّ جهاده(٤).

○ قوله: «**وقال تعالى:** ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجنّ: ٢٢-٢٣]» في هذه الآية: بيان أن

(١) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٥٨).
(٢) «الفتاوى الكبرى» (٥/ ١٠).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦).
(٤) «النبوات» (١/ ٣٧).

الرسول ﷺ مُبلِّغٌ عن الله وأنه ليس إلهًا يعبد بل هو رسول ونبي كريم، ولذا قال: ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ [الجن: ٢٢] أي: لا يمنعني أحد مِنْ عذابه لو خالفت أمره، كقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧] وهذا شرط تقديري عند **أهل العلم**، ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ وهذا لا يكون منه ﷺ؛ لأنه معصوم عليه الصَّلاة والسَّلام، لكنه لبيان أن مَنْ تقوَّل على الله وافترى عليه وادَّعى النبوة وهو كاذب أنه يعاجل بالعقوبة، ولن يدفع أحد عنه عذاب الله مهما كان.

وقوله ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ يقول له: قل يا محمد لهم: «إني لن يمنعني مِنْ الله أحد مِنْ خلقه إذا أراد بي أمرًا ولا ينصرني منه ناصر»، وقوله ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢٢] يقول: ولن أجد من دون الله ملجأً ألجأ إليه ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ [الجن: ٢٣] أي لا يجيرني منه أحد إلا طاعته أن أبلغ ما أرسلت به إليكم فبذلك تحصل الإجارة والأمن[(١)].

○ قوله: «**وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾** [المائدة: ٦٧]» قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً، فإن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة، ومن المعلوم في دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله،

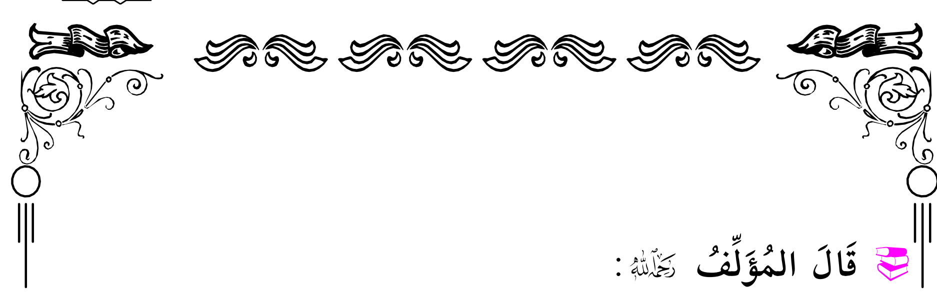
(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٣٢).

وبين ما أنزل إليه من ربه، وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده»[(١)].

○ قوله: «**فهو ﷺ عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب، بل يُطاع ويُتَّبَعُ**» هذه وظيفته عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو ﷺ عبد مِنْ عباد الله لا يُعبد؛ فالعبادة حقٌّ لله تعالى، وهو ﷺ رسول لا يُكذَّب بل يطاع ويُتَّبَعُ؛ لأن الله تعالى أرسله وأمر بطاعته واتباعه، وطاعته مِنْ طاعة الله ﷻ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٥٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فنشهد أنه عبدُ الله ورسولُهُ، شَرَّفَهُ الله بالعبودية، ونوَّه بوصفه بها في أشرف مقاماته، فقال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسرَاء: ١]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النّجْم: ١٠]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٣] إلى غير ذلك.

وقد شَهِدَ تعالى له بالرِّسالة فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنَافِقون: ١]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عِمـرَان: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ [البَيِّنَة: ٢]».

الشَّرْح

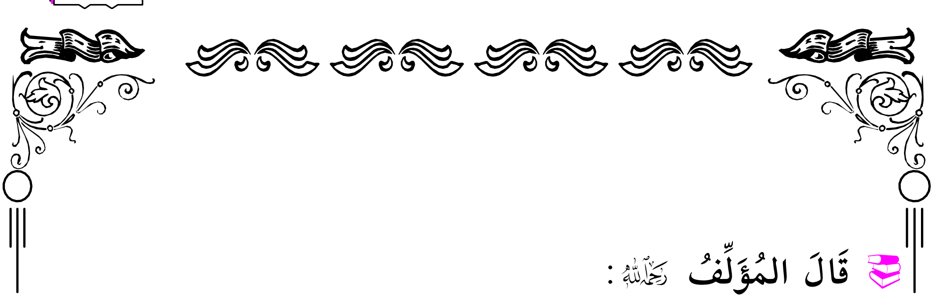
○ قوله: **«فنشهد أنه عبدُ الله ورسولُهُ»** وعبودية الرسول ﷺ هي **العبودية الخاصَّة**، وهناك **عبودية عامَّة التي هي** شاملة لجميع الخلق المؤمنين والكافرين، فهم مُعبَّدون مقهورون مُذلَّلون تنفذ فيهم أحكام الله شاءوا ذلك أم أبوا، **والعبودية الخاصَّة** هي خاصَّة بالمؤمنين الذين يعبدون الله باختيارهم، فالرسول ﷺ له **العبودية الخاصَّة** وله الرِّسالة عليه الصَّلاة والسَّلام.

○ قوله: **«شَرَّفَهُ الله بالعبودية»** الخاصَّة **«ونوَّه بوصفه بها في**

أشرف مقاماته» في مقام الإسراء «**فقال تعالى:** ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]» فسَمَّاهُ عبدًا، «**و**» في مقام الوحي «**قال تعالى:** ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠]»، «**و**» في مقام إنزال الكتاب «**قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]»، «**و**» في مقام التحدي بالقرآن «**قال تعالى:** ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، **إلى غير ذلك»** كما نوَّه في مقام الدعوة قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩﴾ [الجن: ١٩]، فنوَّه الله تعالى بوصفه بالعبودية في هذه المقامات العظيمة.

○ قوله: «**وقد شَهِدَ تعالى له بالرِّسالة فقال:** ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ٢﴾ [البينة: ٢]» كلُّ هذه الآيات فيها شهادةٌ مِنَ الله تعالى لنبيه ﷺ بالرِّسالة.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ولم يُنْجِ الله مِنْ عذابه ولم يكتب رحمته إلَّا لمن تبعه وآمن به وعزَّرَهُ ونصره واتبع النور الذي أُنْزِلَ معه؛ قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]».

الشَّرح

○ قوله: **«ولم يُنْجِ الله مِنْ عذابه ولم يكتب رحمته إلَّا لمن تبعه وآمن به وعزَّرَهُ ونصره واتبع النور الذي أُنْزِلَ معه؛ قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾»** وكذلك هذه الآية مِنْ الأدلة التي فيها شهادةٌ مِنْ الله

تعالى للنبي ﷺ بالرِّسالة.

قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ يعني: الرحمة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ والمتقون هم المؤمنون الموحِّدون، وهذه **رحمة خاصَّة** بالمؤمنين، وهناك **رحمة عامَّة**، فالله تعالى رحم الخلق جميعًا مؤمنهم وكافرهم، ومِنْ رحمة الله بالكافر بقاؤه في الدنيا ورزقه وعافيته.

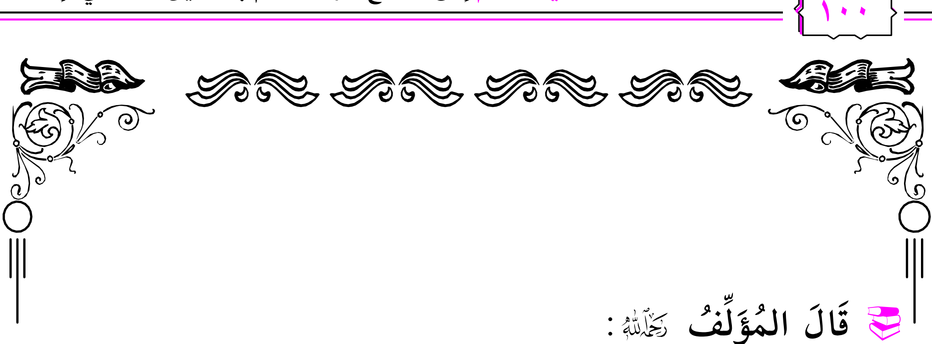
وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ هو محمد ﷺ، والأُمِّيُّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهذا وصفه عليه الصَّلاة والسَّلام كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ [الجُمُعَة: ٢]، فالأميُّ منسوب إلى أمِّهِ؛ لأن الأمَّ في الغالب لا تقرأ ولا تكتب، وقد تقرأ وتكتب لكن هذا في الغالب بالنسبة لجميع العصور ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ يعني: أن وصف الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل أنه رسول نبي أُمِّيٌّ.

ووصْفُهُ ﷺ فيهما كذلك أنه ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ يعني: الأثقال التي كانت على مَنْ قبلنا ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعرَاف: ١٥٧] والأغلال عبارة مستعارة لتلك الأثقال، فوضع النبي ﷺ بالشريعة الخاتمة التي جاء بها مِنْ عند الله الأثقالَ والأغلالَ التي كانت على مَنْ قبلنا.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ أي: بالرسول ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يعني: عظَّمُوه ووقَّرُوه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وهو الوحي

والكتاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧] الذين حصلوا على ما يطلبون ونجوا مما يرهبون، فالفلاح هو أن يحصل الإنسان على ما يطلب وينجو مما يخاف، وأعظم شيء يطلبه المؤمن هو رضى الله تعالى والتمتع بدار كرامته في جنته، وأعظم شيء يخافه المؤمن هو غضب الله وسخطه والنار.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ونشهد بعموم رسالته إلى الناس جميعًا جِنِّهِمْ وإنسهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد مِنْ هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلَّا كان مِنْ أصحاب النار»».

الشَّرْح

○ قوله: **«ونشهد بعموم رسالته إلى الناس جميعًا»** يعني: العرب والعجم **«جِنِّهِمْ وإنسهم»**.

وقد أخبر الله تعالى أن نفرًا من الجنِّ جاؤوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩] فصاروا دُعَاةً، ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ

أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٣٠-٣٢]، فهل ترى أحسن مِنْ هذه الدعوة مِنْ أولئك النفر مِنْ الجنِّ الذين آمنوا ودعوا أهليهم إلى الإيمان بالرسول ﷺ؟.

وفي «الصحيحين»(١) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: «مَا لَكُمْ؟»، فَقَالُوا: «حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ»، قَالُوا: «مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ»، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: «هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ»، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا: «يَا قَوْمَنَا، إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ** ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، **وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ**»، وفي «صحيح مسلم»(٢) عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ «هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟»، قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ: أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقُلْتُ: «هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟»، قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ، فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أَوْ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب «الجهر بقراءة صلاة الفجر»، رقم (٧٧٣)، ومسلم، كتاب الصلاة، رقم (٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، رقم (٤٥٠).

اغْتِيلَ»، قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ»، فَقَالَ: «**أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ**»، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، فرسالته ﷺ عامَّة إلى الجنِّ والإنس، والناس مِنَ النوس وهو الحركة المتتابعة، فسمي الناس ناسًا للحركة الظاهرة والباطنة[1].

واستدل **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ بأدلة على عموم رسالة النبي ﷺ فقال:

«**قال الله تعالى**: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾» أي: للعرب والعجم وللجنِّ والإنس «﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾» فأمر الله تعالى بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ «﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾» وهو محمد «﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]» اللام للتعليل وليس للترجي؛ لأن الله لا يخاف أحدًا، فبَيَّنَ الله تعالى أن مَنْ آمن بالنبي ﷺ فاتَّبَعَهُ فهو من المهتدين.

وهناك أدلة كثيرة مِنْ كتاب الله تعالى على عموم رسالة النبي ﷺ غير ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

منها: قوله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، **ومنها**: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨].

وذكر **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ دليلًا مِنَ السنة على عموم رسالة النبي ﷺ

---

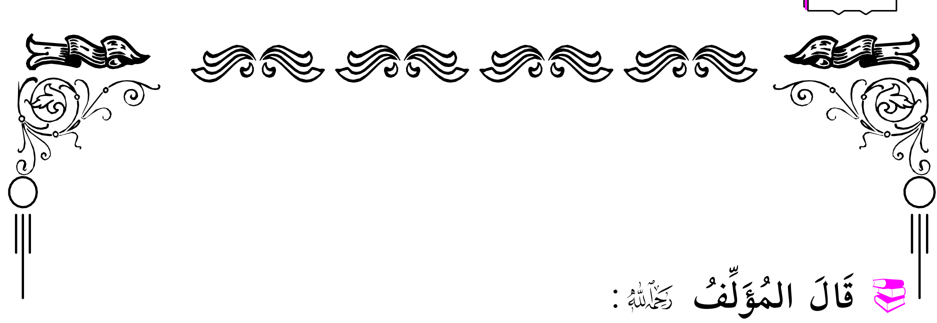
(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٤٨٧).

فقال: «وفي «الصحيح»[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلَّا كان مِنْ أصحاب النار»»، **ومنها**: ما في «الصحيحين»[2] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**».



(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب «التيمم، وقول الله تعالى ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦](٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١).



 قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد أخذ الله عَزَّ وَجَلَّ ميثاق النبيين على الإيمان به فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١]».

الشَّرْحُ

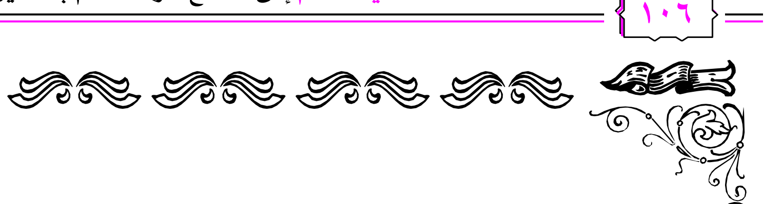
○ قوله: «وقد أخذ الله عَزَّ وَجَلَّ ميثاق النبيين على الإيمان به فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾» يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كلِّ نبي بعثه لَمَهْمَا آتاه الله مِنْ كتاب وحكمة ثم جاءه رسول مِنْ بعده مصدق لما معه ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، فعلى هذا قد عُلِمَ أن محمدًا ﷺ هو خاتمهم، فكلُّ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته.

ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام في آخر الزمان يكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية، ويحكم بشريعة نبينا[1]؛

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب البيوع، باب «قتل الخنزير»، رقم (٢٢٢٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لأن شريعته نُسِخَتْ ببعثة النبي ﷺ، **ويكون عيسى عليه السلام هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها** ﷺ؛ لأنه نبي ومن هذه الأمة، فهو أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، **ثم يليه** أبو بكر الصديق رضي الله عنه.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ونشهد أنَّ كلَّ عامل بعد بعثته على خلاف ما بُعِثَ به ﷺ لم يقبل منه مثقال ذرة ولو عمل أيَّ عمل؛ لأنه ﷺ بُعِثَ بدين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»، وفي رواية لمسلم: «مَنْ عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»».

الشَّرْحُ

○ قوله: «ونشهد أنَّ كلَّ عامل بعد بعثته على خلاف ما بُعِثَ به ﷺ لم يقبل منه مثقال ذرة ولو عمل أيَّ عمل» وهذا أيضًا مِنْ دين الإسلام ولا يصح الإيمان إلَّا به، وهو أن تشهد أنَّ كلَّ عامل بعد بعثة الرسول ﷺ على خلاف ما بُعِثَ به ﷺ فعمله حابط وباطل ولا يقبل منه؛ فليس هناك طريق إلى الجنة إلَّا طريق الرسول ﷺ، فقد سُدَّتْ جميع الطرق والأبواب إلَّا مِنْ جهته ﷺ، فمن اتَّبع الرسول ﷺ وما بعثه الله به وأطاعه فهو من أهل الجنة.

ومَنْ زعم أن هناك طريقًا آخر يوصل إلى الله وجنته غير طريق الرسول ﷺ فهو كافر، مثل: ما يدَّعيه بعض الناس من أن هناك طريقًا آخر وهو طريقُ الفلسفة، كما يقول **كثير من الفلاسفة**: «إن

الفيلسوف أعظم من النبي»[١]، وهؤلاء كفرهم فوق كفر الذين قالوا ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ فإذا كان الذي يقول: «لن أؤمن حتى أوتى مثل ما أوتي رسول الله» كافر فالذي يقول: «إنه فوق الرسول» أعظم وأشدُّ كفرًا.

وكذلك **بعض الصوفية** الذين يقولون: يمكن أن يصل الإنسان إلى الله عن غير طريق الرسول ﷺ، بل يدَّعي **بعض الصوفية الملاحدة** أنه يصل إلى الله ولا حاجة له إلى الوحي ولا جبريل ولا محمد ﷺ؛ يقولون: «يأخذ محمد العلم عن جبريل بواسطة، **والصوفي** يأخذ العلم مِنْ الله مباشرة»، **ويقول بعضهم**: «حدَّثني قلبي عن ربي» فيدَّعي أن الصوفي أعظم[٢]، وهؤلاء ملاحدة زنادقة، وكفرهم أعظم من كفار قريش ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

والصوفية موجودون في كلِّ مكان، ومنهم مَنْ يدَّعي هذه الدعوى، ويعلنون دينهم ومذهبهم، ولهم مؤلفات وكُتُبٌ، وهناك من يحققها ويطبعها طبعات جيدة، وهناك مَنْ يدافع عنهم، **وهم** ـ والعياذ بالله ـ أعظم كفرًا من **اليهود والنصارى والوثنيين**.

قال ﵀: «**ونشهد أن كلَّ عامل بعد بعثته على خلاف ما بُعِثَ به ﷺ لم يقبل منه مثقال ذرة ولو عمل أيَّ عمل؛ لأنه ﷺ بُعِثَ بدين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾** [آل عمران: ٨٥]» والذي يعمل على خلاف ما بُعِثَ به الرسول ﷺ فقد ابتغى غير الإسلام دينًا،

---

(١) انظر: «النبوات» لابن تيمية (ص ١٧٩)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٨٩).

(٢) انظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص ٤٥١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٦٢).

والإسلام هو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة مِنَ الشِّرك وأهله، واتباع محمد ﷺ فيما جاء به، ومَنْ عمل على خلاف ما بُعِثَ به الرسول ﷺ فقد ابتغى غير الإسلام دينًا فلن يُقْبَلَ منه.

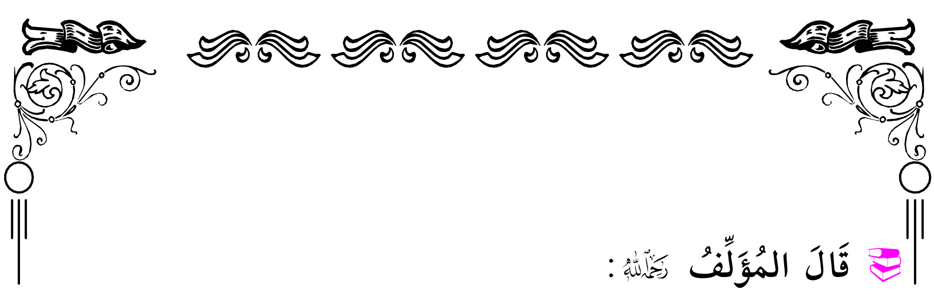
○ قوله: **«وفي «الصحيحين»[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»، وفي رواية لمسلم[٢]: «مَنْ عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»»** قال الإمام النووي رحمه الله: «**قال أهل العربية**: الردُّ هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتدٍ به.

وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كَلِمِهِ ﷺ فإنه صريح في ردِّ كلِّ البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احْتُجَّ عليه بالرواية الأولى يقول: «أنا ما أحدثت شيئًا» فَيُحْتَجُّ عليه بالثانية التي فيها التصريح بردِّ كلِّ المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها.

وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في ابطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به»[٣].



(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٢/ ١٦).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ونشهد أنه ﷺ لم يتوفَّاه الله ﷻ حتى أكمل لنا به الدين، وبلَّغَ جميعَ ما أُرْسِلَ به البلاغ المبين، ولم يترك خيرًا إلَّا دلَّ الأمَّة عليه وأرشدهم إليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّرهم منه ونهاهم عنه، وتركهم على المحجَّةِ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلَّا هالك، وقد أنزل الله ﷻ في حجة الوداع التي هي آخر اجتماعه بالناس ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣]، وفيها خطب ذلك الجمعَ العظيمَ، وقال في خطبته تلك: «ألَّا هل بلَّغْتُ؟»، قالوا: «نعم»، قال: «اللهم اشهد» ثلاثًا، يرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس «اللهم اشهد» الحديث في «الصحيحين»».

الشَّرْحُ

○ قوله: «ونشهد أنه ﷺ لم يتوفَّاه الله ﷻ حتى أكمل لنا به الدين، وبلَّغَ جميعَ ما أُرْسِلَ به البلاغ المبين، ولم يترك خيرًا إلَّا دلَّ الأمَّة عليه وأرشدهم إليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّرهم منه ونهاهم عنه، وتركهم على المحجَّةِ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلَّا هالك» إذًا لا بُدَّ مِنْ هذه الشهادة، بل مَنْ لم يشهد بهذه الشهادة فليس بمؤمن.

لا بُدَّ أن تشهد أن الرسول ﷺ بَلَّغَ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وأكمل الله به الدين، ومَنْ قال: «إن الدين فيه نقص

يحتاج إلى مَنْ يكمله» أو «إن الدين فيه زيادة يحتاج إلى نقصان» أو «إن الرسول ﷺ قَصَّرَ في تبليغ الرِّسالة» فهو كافر.

لا بُدَّ أن تعتقد أن الرسول ﷺ لم يترك خيرًا إلَّا دلَّ الأمَّة عليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّرها منه، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها ليس فيها اشتباه ولا التباس، لا يزيغ عنها بعده إلَّا هالك.

○ قوله: «**وقد أنزل الله ﷻ في حجة الوداع التي هي آخر اجتماعه بالناس ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾** [المَائدة: ٣]» كما في «الصحيحين»[(١)] عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا: «لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا»، فَقَالَ عُمَرُ: «أَيَّةُ آيَةٍ؟»، فَقَالُوا: «﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المَائدة: ٣]»، فَقَالَ عُمَرُ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أُنْزِلَتْ، أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ**»، وعاش بعدها ﷺ ما يقارب اثنين وثمانين يومًا ثم توفي عليه الصَّلاة والسَّلام.

تأمل، كيف أن اليهودي يعرف الحق لكن لا يتبعه؛ فهو مخذول خذله الله، وفي ذلك دليل على أن الإنسان قد يعرف الحقَّ ولا يعمل به، بعض الناس إذا أمرته بمعروف يقول لك: «أعرف هذا الشيء»، إذا كنتَ تعرفه فاعمل به؛ إذ لا تكفي المعرفة، فقد عرف **إبليسُ** الحقَّ ولم يعمل به واستكبر عن عبادة الله قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، وكذا عَرِفَ **فرعون** الحقَّ ولم يعمل به، فلا

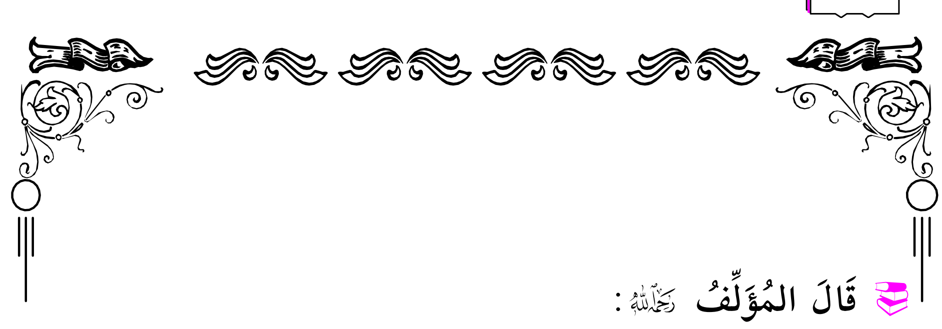
(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «حجة الوداع»، رقم (٤٤٠٧)، ومسلم، كتاب التفسير، رقم (٣٠١٧).

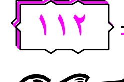
بُدَّ من المعرفة والعمل.

❍ قوله: «**وفيها**» أي: في حجة الوداع «**خطب**» الرسول ﷺ «**ذلك الجمعَ العظيمَ، وقال في خطبته تلك**» بعد ما قرَّرَ قواعد التوحيد، وهدم قواعد الشِّرك، وبيَّنَ حقوق الناس، ووضع دماء الجاهلية وربا الجاهلية تحت قدميه، وحرَّم الحرمات الثلاث الدماءَ والأموالَ والأعراضَ، وبيَّنَ حقوقَ الرجال على النساء وحقوقَ النساء على الرجال: «**«ألَّا هل بلَّغْتُ؟»، قالوا: «نعم»، قال: «اللهم اشهد» ثلاثًا، يرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس «اللهم اشهد» الحديث في «الصحيحين»**[1]» فقد أعمل الله به الدين، وبلغ ﷺ البلاغ المبين.



(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، رقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنهما.
وأخرجه البخاري، كتاب الحج، باب «الخطبة يوم منى»، رقم (١٧٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وأخرجه البخاري، كتاب الحج، باب «الخطبة يوم منى»، رقم (١٧٤١)، ومسلم، كتاب القسامة، رقم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.



 قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ونشهد أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، ومَنِ ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب، ومَنْ صدَّقَهُ في دعواه فهو كافر؛ قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي حديث الدَّجَّال في «الصحيحين» وغيرهما قال ﷺ: «إنه يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي»، وكذا في «السنن» من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإنه يكون بعدي كذَّابُون ثلاثون، كلُّهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي».

فهو ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين حتى الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال أهل التفسير: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ هو محمد ﷺ، وفي حديث الشفاعة الطويل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»».

الشَّرْح

○ قوله: «ونشهد أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، ومَنِ ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب، ومَنْ صدَّقَهُ في دعواه فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]» لا بُدَّ مِنْ هذه الشهادة؛ فهذه الآية نصٌّ في أنه

لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرِّسالة أخصُّ مِنْ مقام النبوة، فإن كلَّ رسول نبي ولا ينعكس[(١)]، فَمَنِ ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب كافر، ومَنْ صدَّقَهُ في دعواه فهو كافر.

○ قوله: **«وفي حديث الدَّجَّال في «الصحيحين»[(٢)] وغيرهما قال ﷺ: «إنه يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي»»** الدَّجَّال فَعَّال، صيغة مبالغة مِنَ الدَّجل، أي: يَكْثُرُ منه الكذب والتلبيس.

والدَّجاجلة كثيرون، فالسحرة والكهان دجاجلة، لكن أشدهم الدَّجَّال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان يدَّعي الصَّلاح، ثم النبوة، ثم الألوهية.

وخروج الدَّجَّال أحد أشراط الساعة الكبار، وفتنته عظيمة؛ كما في «صحيح مسلم»[(٣)] عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ**

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٩٤).

(٢) إنما جاء بعض ما في الحديث من صفات النبي ﷺ في أحاديث متفرقة في الصحيحين: البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، رقم (٣٥٣٤)، (٣٥٣٥)، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٨٦)، وكتاب الإمارة، رقم (١٨٤٢).

وأخرج ابن ماجه، كتاب الفتن، باب «فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج»، رقم (٤٠٧٧) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ وَحَذَّرَنَاهُ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: «...، **فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ: «أَنَا نَبِيٌّ» وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: «أَنَا رَبُّكُمْ» وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**، ...» الحديث.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذه السياقة». «المستدرك» (٤/ ٥٨٠)

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٤٦).

الدَّجَّالِ».

○ قوله: «**وكذا في «السنن»**[١] **من حديث ثوبان** ﷺ: «**وإنه يكون بعدي كذَّابُون ثلاثون، كلُّهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي»**» فالذين يدَّعون النبوة ولهم شوكة وأتباع «**كذَّابون ثلاثون**»، أما مَنِ ادَّعى النبوة لخلل في عقله فكثيرون لا يحصون.

وقوله ﷺ فيهما «**وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي**» دليل أنه ﷺ خاتم النبيين ولا نبي بعده، ومَنِ ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب كافر.

○ قوله: «**فهو ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين حتى الأنبياء والمرسلين**» يعني: هو ﷺ أفضلهم، كما في «صحيح مسلم»[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

○ قوله: «**قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾** [البَقَرَة: ٢٥٣]» فالرسل يتفاوتون في الفضيلة، فأولو العزم منهم الخمسةُ ـ **نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد** ـ أفضل من غيرهم، وأفضلهم الخليلان **إبراهيم ومحمد**، وأفضلهما **نبينا محمد**؛ فهو سيد ولد آدم وأفضل الناس أجمعين، ويليه في الفضيلة جدُّهُ إبراهيم، ثم موسى الكليم، ثم بقية أولو العزم، ثم بقية الرُّسُلِ، ثم الأنبياء، ثم الصِّدِّيقون، ثم الشهداء، ثم

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب «ذكر الفتن ودلائلها»، رقم (٤٢٥٢)، والترمذي، كتاب الفتن، باب «ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون»، رقم (٢٢١٩)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب «ما يكون من الفتن»، رقم (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨).

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) تقدَّم تخريجه.

الصالحون وهم متفاوتون.

❍ قوله: «**قال أهل التفسير: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ هو محمد ﷺ**» فمحمد ﷺ أفضلهم، قد رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم فكان أحقهم بهذه الآية(١).

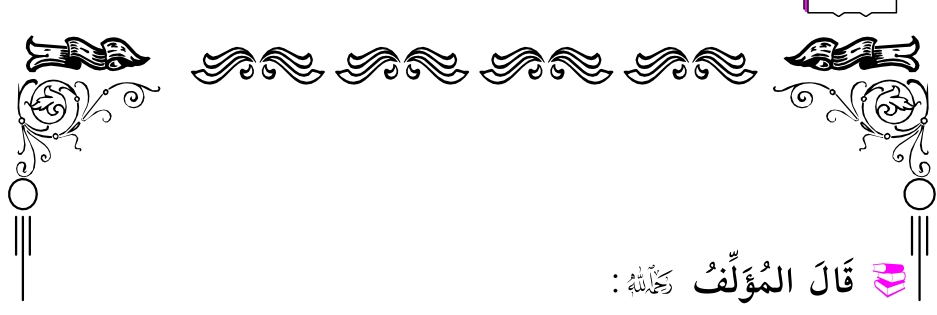
❍ قوله: «**وفي حديث الشفاعة الطويل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**»(٢) وهذه مرتبته عليه الصَّلاة والسَّلام.



(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٢٤)، و«الجواب الصحيح» (٦/ ١٦٩)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص٩٣)، و«حادي الأرواح» (١/ ١٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار، ورجالهم ثقات». «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٥).



 **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ:

«ونؤمن بما أجرى الله على يديه من المعجزات الخوارق للعادة، التي أعظمها القرآن العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]، وقال فيه ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضِلُّوا كتاب الله ...» الحديث في «الصحيح»».

الشَّرْح

○ قوله: «**ونؤمن بما أجرى الله على يديه من المعجزات الخوارق للعادة**» منها: تكثير ماء عين تبوك[(١)]، ونبع الماء من بين أصابعه[(٢)]، إلى غير ذلك من المعجزات.

○ قوله: «**التي أعظمها القرآن العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]**» وقد تحدى الله تعالى به الجنَّ والإنس أن يأتوا بمثله فعجزوا، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسرَاء: ٨٨]، بل تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ

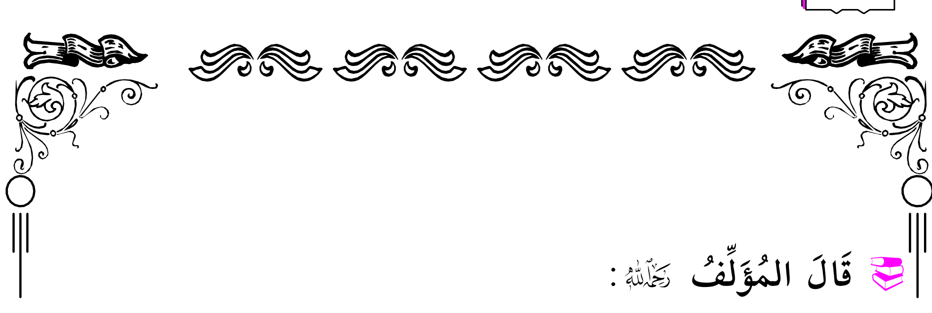
(١) أخرجه صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٨١) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب «الوضوء من التور»، رقم (٢٠٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿١٣﴾﴾ [هُود: ١٣]، وتحداهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿٢٣﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٣]، فهم عجزوا مع أن القرآن من الحروف الهجائية الثمانية والعشرين التي يتكلَّم بها الناس وهم فصحاء بلغاء ومع ذلك عجزوا، فهذا القرآن من أعظم المعجزات والخوارق «**وقال فيه ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضِلُّوا كتاب الله ...» الحديث في «الصحيح»**» في صحيح مسلم من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ؛ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١).



(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٠٨).



 قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ونؤمن بما سيُكْرِمُهُ الله به في الآخرة من الكرامات، التي من أعظمها المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال ﷺ: «أنا أوَّل شافع، وأوَّل مُشفَّع»، «وأوَّل مَنْ يقرع باب الجنة...» إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر».

الشَّرْحُ

○ قوله: **«ونؤمن بما سيُكْرِمُهُ الله به في الآخرة من الكرامات، التي من أعظمها المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]»** قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربُّهم مِنْ عظيم ما هم فيه مِنْ شدَّةِ ذلك اليوم(١).

ولا تكون إلَّا بعد أن يأذن الله تعالى له، فإن الناس يصيبهم كرب عظيم في موقف القيامة، وتدنو الشمس من الرؤوس، وتزداد حرارتها، ويموج الناس بعضهم في بعض كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

في «الصحيحين»(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ١٤٣، ١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء: ٣]»، رقم (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٤).

بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: «أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟»، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: «عَلَيْكُمْ بِآدَمَ»، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ: «أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟»، فَيَقُولُ آدَمُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ»، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: «يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ»، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: «يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى»، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: «يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ**

غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: «يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ عِيسَى: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ»، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟» فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»».

وقوله: «فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: «يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ»»، وهذه الكذبات إنما هي في الحقيقة تورية وليست بصريحة، وكان يُجَادِلِ بهنَّ عن دين الله، كما في «الصحيحين»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عليه السلام قَطُّ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب «قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النِّسَاء: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النّحل: ١٢٠]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾ [التوبَة: ١١٤]»، رقم (٣٣٥٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٧١) - واللفظ له -.

ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصَّافات: ٨٩] وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: «إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ»»، فانظر إلى قوله عليه الصَّلاة والسَّلام «وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ»، فانظر إلى ما يعتذر به إبراهيم عليه السلام يوم القيامة.

وقوله: «فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: «يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا»»، وهذه النفس التي قتلها هي القبطي الذي قتله قبل النبوة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ [القَصَص: ١٥].

وقوله: «فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: «يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ عِيسَى: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا -»»، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: «إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ اللهِ»[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة بني إسرائيل»، رقم (٣١٤٨).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وقوله: «**فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**» فيأتيه الإذن من الله تعالى: «**ثُمَّ يُقَالُ**: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»» فيُشفِّعه الله في الخلائق والقضاء بينهم، وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

○ قوله: «**وقال ﷺ: «أنا أوَّل شافع، وأوَّل مُشفَّع»**[1] قال الإمام النووي رحمه الله: «إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منهما قبل الأول، والله أعلم»[2]، ««**وأوَّل مَنْ يقرع باب الجنة...**»»[3] وفي «صحيح مسلم»[4] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ**: «**مَنْ أَنْتَ؟**»، **فَأَقُولُ**: «**مُحَمَّدٌ**»، **فَيَقُولُ**: «**بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»» «**إلى غير ذلك**» من الكرامات «**مما لا يدخل تحت حصر**».



(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٥/ ٣٨).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.





الخاتمة

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«والأدلة من الكتاب والسنة على مطالب الشهادتين وشروطها أكثر مِنْ أن تُحْصَرَ، وقد اقتصرنا في كلِّ مسألة على دليل من الكتاب والسنة؛ لقصد الاختصار، وإلَّا فهو بعض مِنْ كُلٍّ، ودقٌّ مِنْ جُلٍّ، وقطرةٌ من بحر، وفيه إن شاء الله كفاية لمن أراد الله إخراجه من الظلمات إلى النور.

وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

الشَّرْح

○ قوله: «والأدلة من الكتاب والسنة على مطالب الشهادتين» يعني: مقتضياتها «وشروطها أكثر مِنْ أن تُحْصَرَ، وقد اقتصرنا في كلِّ مسألة على دليل من الكتاب والسنة؛ لقصد الاختصار» **يقول** رَحِمَهُ اللهُ: الأدلة من الكتاب والسنة كثيرة، ولكن اختصارًا اقتصر رَحِمَهُ اللهُ على دليل واحد يحصل به المقصود.

○ قوله: «وإلَّا فهو بعض مِنْ كُلٍّ، ودقٌّ مِنْ جُلٍّ» يعني: هذا دقيق يقابله الجليل الكثير «وقطرةٌ من بحر» الدليل الواحد قطرة مِنْ بحرٍ من الأدلة الكثيرة.

❍ قوله: «**وفيه إن شاء الله كفاية لمن أراد الله إخراجه من الظلمات إلى النور**» وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم**».

وفق الله الجميع لطاعته، ورزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وثبتنا على دينه القويم إنه ولي ذلك والقادر عليه. ورحم الله المؤلف وجزاه خيرا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ والفوائد

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة